مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم وتنشير البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

العدد السادس السنة الثالثة رجب ١٤٤٠هـ الموافق مارس ٢٠١٩م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص ٢٩]

موضوعات العدد:

- أسلوب المقابلة في سورة الرعد - دراسة تحليلية
  أ.د. أحمد بن محمد الشرقاوي
- دلالة السياق القرآني وأثرها في توجيه معاني الآيات
  من خلال كتاب «التحرير والتنوير» للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)
  أ. أحمد يزيد بازرك الله
- حماية القرآن للوعي الفكري لدى الشباب
  في ظل تحديات وسائل التواصل الحديثة
  الباحث: أ.د. محمد عبد الدايم علي سليمان الجندي
- دلالات ومقاصد مصطلح الفرج في القرآن الكريم نماذج تطبيقية
  أ. بسمة عبد المجيد مترات
- أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتها
  أ.د. الأمير محفوظ محمد أبو عيشة
- تقرير عن رسالة علمية بعنوان:
  مهارات تدبر القرآن الكريم لدى معلمي القرآن
  بالمرحلة المتوسطة ومعوقات استخدامها
  أ. خالد بن حسن السهيمي
- تقرير عن معهد مكون بمعلمات القرآن الكريم «تدبر»
- التقرير عن المؤتمر القرآني الدولي السنوي «مقدس ٨»
  تحت شعار: «إسعاد الإنسان بهدى القرآن»

مجلة تدبر

البحث الخامس
أَفْعَالُ الخَلْقِ والإيجَادِ فِي القُرْآنِ وَدَلَالَاتُهَا

أ.د. الأَمِيرُ مَحْفُوظ مُحَمَّد أَبُو عَيْشَة

من علماء الأزهر الشريف، وإمام بالأوقاف المصرية.

وله مقالات بالصحافة المصرية.

۞ حاصل على درجة التخصص الماجستير في قسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، بأطروحته: (منهج الدعوة الإسلامية في وضع التدابير الواقية لعلاج البطالة).

۞ حاصل على درجة العالمية الدكتوراه في قسم الدعوة في كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، بأطروحته: (مسلمو أهل الكتاب في مصر في القرن العشرين وأثرهم في الدعوة)،

وله مؤلفات منها: (علاقة الكتب السماوية بالعلم وموقف العلماء منها وآثارها المترتبة)،

و(الثورة مفهومها وآثارها على الدعاة)، و(الكفايات الدعوية – المدعو نموذجًا تطبيقيًّا)،

و(قراءة صحيفة المدينة في ضوء فقه المواطنة)، و(رسالة مدح السعي وذم البطالة لابن كمال باشا – دراسة وتحقيق)، سِلسلة بعنوان: "من وعي الأمة والمجتمع" وقد صدر لي منها: (فروض الكفاية وأثرها في تنمية الفرد والمجتمع)، و(الوسطية في الإسلام)، و(العقائد والمعتقدات وأثرها في المجتمع).

۞ البريد الإلكتروني: *Alamir_mahfoz56@yahoo*

مجلة تدبر

آية قرآنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨].

مجلة تدبر

مستخلص البحث

حمدًا لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على سيِّدِنا محمَّد -صلَّى الله عليه وآله وصحبه وسلَّم-،

وبعد..

فإن ذلك مستخلص دراسة **(أفعال الخلق والإيجاد في القرآن ودلالاتها)** أتناول فيه ما يلي:

أولًا: موضوع البحث:

تدَبُّر عدد من الآيات القرآنية المعنية بأفعال الخلْقِ والإيجَاد.

ثانيًا: أهداف البحث:

ثلاثة هي:

١- إثبات التحدي بـ**(أَفْعَال الخَلْقِ)**.

٢- محاولة التنوع في الاستدلال على قضايا الإيمان.

٣- تقييم بعض نظريات الإلحاد.

ثالثًا: منهج البحث:

استخدمت المنهج الوصفي التحليلي: أما المنهج الوصفي فعرَّفت بأفعال الخلق، والدلالة وتخيَّرت سبعة أفعال هي: **(خَلَق وصوَّر وسَوَّى وأَنْشَأ وفَطَر وبَرَأ وذَرَأ)**، وهي أشهر الأفعال الواردة في القرآن للدلالة على الخلق والإيجاد، ولم تستقرئ الدراسة جميع أفعال الخلق، فما لا يدرك كلُّه لا يترك جلُّه، واستخدمت المنهج التحليلي قمت ببيان معنى كل فعل لغة، مع تدبر مواضعه القرآنية في التفسير بغية استخراج دلالاته وفق الأدلة، والقرائن المرجِّحَة لها.

❁ رابعًا: من أهم النتائج:

١- إن فعل الخلق والإيجاد فعل ثابت لله تعالى وهو فعل دائم مستمر لا يتناهى أبدًا حتى قيام الساعة.

٢- أَفْعَال الخَلْقِ والإيجاد مقترنة بتحدي البشرية وثبوت عجزها، وهي تمثل الدليل النقل والعقل معًا.

٣- أَفْعَالُ الخَلْقِ القرآنية من أظهر الدلائل الإيمانية للاستدلال على الإيمان بالله تعالى.

❁ خامسًا: من أهم التوصيات:

١- لعلماء اللغة دور جليل قدَّموه، ويقدمونه للإسلام، كإعداد (معجم متخصص في أفعال الله في القرآن)، وهو من أعظم الأدوار.

٢- إخراج الدراسات القرآنية القائمة على الربط بين الأصلين اللغة والوحي.

الكلمات (المفتاحية) الدالة للدراسة هي: (أفعال - الخلق - الدلالة- الإيجاد- القرآن الكريم).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على سيّد ولد آدم سيِّدِنا محمَّد -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-،

وبعد..

فإن تدَبُّر القرآن شيء له جانب من الأهمية حيث إن عملية التدبر في حاجة لاستعداد معين قد يطول أو يقصر بحسب قابلية المسلم واستعداده القلبي والعقلي والوجداني؛ لذلك حثَّ القرآن على التدبر، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢](١)؛ لأن المخاطب بالتدبر (العلماء) وهم عدد قليل من المسلمين، ثم لا يقدر على التدبر سوى عدد من العلماء، فليس كل عالم لديه ملكة التدبر الصحيح باستنباط معاني القرآن الكريم ومقاصده، لكون التدبر عملية عقلية أشبه بالاجتهاد.

وإن خير ما يعين على تحقيق التدبر للقرآن قراءته؛ لذلك فإن أول أمر قرآني كان بالقراءة ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ [العلق: ١]، كما ورد الأمر بترتيل القرآن، فقال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤]، وأوضح دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، وأكد ذلك بأدوات عدة كاللام، وحرف (قد) المفيد للتحقيق لدخوله على الفعل الماضي، والفعل (يَسَّرَ) وفاعله نون العظمة الدالة على تمكين ذلك بفعل الله ومشيئته وإذنه، فالقراءة شيء ميسَّر متَاح للمسلم بمجرد التلاوة فلا صعوبة أو استحالة بشرط استحضار علوم

(١) ورد هذا الحث القرآني على التدبر مرتين في القرآن مرة في سورة النساء وأخرى في سورة محمد.

الآلـة من العربية والأصول، فمن الممكن الوقوف علـى المعنى الأوَّلِيّ لفهم القرآن بمجرد عملية القراءة، وسـأحاول -مسـتعينا بحـول الله تعالى وقوته- القيـام بعمليـة تدبُّر آي القرآن المشـتملة علـى بعض أفعال الخلق في دراسـة بعنـوان: (أَفْعَالُ الخَلْـقِ والإيجَادِ فِي القُـرآنِ ودِلَالَاتِهَا)، وأقـدِّم بين يديها في عجالة مقدّمة تتكون من النقاط التالية:

۞ أسباب اختيار الموضوع:

❖ إن (أَفْعَـالَ الخَلْـقِ) مفـردات قرآنيـة واضحـة الدلالـة بـلا لبس أو غمـوض، وهي في ذات الوقـت من أظهر أدلة إثبات وجـود الله تعالى وقدرته وإرادته وعلمه، مما يحقق قيومية الحق تعالى على خلقه مهما أنكر المنكرون تأبّيا على طاعة الله، أو تكبرًا على الاعتراف به سـبحانه، ذلك يرشـح دراستها لاستخراج بعض من دلالاتِها.

❖ إن انتشار الإلحاد اليوم بين الناس، من حيث ظهور سلوكيات دالة على الضجر من الحياة، أو السخط من مقدور الله، أو القنوط واليأس من رحمته، أو الاعـتراض على بعض المعتقدات بفعل نظريات ملحدة كنظرية التطور، يحتم علـى العلمـاء الاهتمام بدلائـل الاعتقاد، والسـعي في بناء وعي المسـلم على الإيمان الراسخ، واليقين الثابت على أصول وأسس قوية من الأدلة والبراهين، عسى أن يعين ذلك على استعادة النقاء الإيماني لفطرة الإنسان.

❖ إن من سبُل اجتهاد العلماء في الاستدلال على عقائد الإيمان بالدليل النقلي من كتاب وسنة والدليل العقلي، كلاهما معًا متمثلان في (أَفْعَال الخَلْقِ) حيث مخاطبة العقول بالنظر في فعل الخلق، فضلا عما حملت (أَفْعَال الخَلْقِ) من دلالات: النظر والتحدي والإعجاز.

۞ أهمية الدراسة:

تبدو أهمية الدراسة في مطالبة القرآن بأن ينظر المؤمنون ويتدبروا في خلق الأكوان والإنسان، وهو ما يتحقق من رؤية متفقة مع عقيدة المسلمين، من خلال دراسة (أَفْعَال الخَلْقِ والإِيجَادِ)، ومتفقة مع رؤية سلفنا الصالح، كما تمثل مقولة وسطية بين مقولات المسلمين قد يفتقدها البعض اليوم.

۞ أهداف الدراسة:

للدراسة أهداف ثلاثة: **أولها:** إثبات التحدي بـ(أَفْعَال الخَلْقِ)، ومعرفة مدى عجز البشرية عن مجاراة تحدي القرآن بفعل الخلق. **ثانيها:** محاولة التنوع في الاستدلال على قضايا الإيمان؛ لأن تنوع الاستدلال مقولة ضرورية تناسب مخاطبة البشرية كلها بالقرآن. **ثالثها:** تقييم نظريات الإلحاد.

۞ الدراسات السابقة:

يعود الفضل عليَّ في هذه الدراسة إلى الله أولًا، ثم لبعض دراسات علماء الإسلام منها: الدراسات العقدية التي أوردت مسألة (صفات الأفعال لله تعالى)، كالاعتقاد للإمام البيهقي[1]، وكذا الدراسات المهتمة بالنظر في الأكوان والإنسان مثل: (**تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**)،

(١) الإمام البيهقي: (٣٨٤- ٤٥٨هـ) أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِرْدِي الخراساني البيهقي الحافظ الثبت الفقيه شيخ الإسلام، قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا البيهقي له منة على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه، من مصنفاته: دلائل النبوة، والسنن الكبرى، والاعتقاد، والأسماء والصفات، انظر: سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، (١٨/ ١٦٣- ١٧٠)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، طبع مؤسسة الرسالة الأولى سنة ١٩٨٤، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، (٥/ ٢٤٨- ٢٥٠)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، طبع دار ابن كثير دمشق بيروت، الأولى سنة ١٩٩٢.

للراغب[1]، وكتاب (**مفتاح دار السعادة**)، للإمام ابن قيم الجوزية[2]، فلعل في وضع هذه الدراسة إحياء لفكرة وجدت في تراث علماء الإسلام من النظر في خلق الأكوان والإنسان؛ لمعرفة ماهية خلق الكون مما يتناسب وعصرنا، إذ نحن أحوج اليوم إلى ذلك، ومن هذا القبيل قول الشيخ الإمام الشعراوي: (**وما زِلْنا حتى الآن نقف أمام آيات، وننتظر من العِلْمِ أنْ يكشفَ لنا عن معناها**)[3].

وهذه الدراسة موضوعية؛ لأن (**أَفْعَالَ الخَلْقِ**) خاصة تدرس الأفعال الدالة على الخلق، ولم تتطرق لبقية أفعال الله تعالى من الرزق والإحياء

(١) الراغب الأصفهاني: (...- ٥٠٢هـ) الحسين بن محمد بن المفضل المعروف أبوالقاسم الأصفهاني المعروف بالراغب، وفي بغية الوعاة المفضل بن محمد الأصبهاني، وهو من الحكماء العلماء من أهل أصبهان، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه الذريعة في مكارم الشريعة، وتفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، والمفردات في غريب القرآن، وجامع التفاسير، والمحاضرات، وأفانين البلاغة، انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، (٢/ ٢٩٧)، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، طبع عيسى الحلبي، بدون، والأعلام، لخير الدين الزركلي، (٢/ ٢٥٥)، طبع دار العلم للملايين، بيروت لبنان، سنة ٢٠٠٢م.

(٢) ابن قيم: (٦٩١- ٧٥١هـ)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزُّرْعي، أبو عبدالله، مولده ووفاته بدمشق، وهو أحد كبار علماء الحنابلة، تعلم على التقي سليمان وابن عبد الدائم، وابن الشيرازي ولزم الشيخ ابن تيمية لما عاد من القاهرة سنة (٧١٢هـ)، وغلب عليه حبه وأوذِي بِسببِ انتصَارِه له، كان جرئ القلب واسع العلم عارفا بالخلاف ومذاهب السلف، أغرم بجمع الكتب، وصنف الكثير منها أعلام الموقعين، والطرق الحكمية، وزاد المعاد وغيرها، انظر: المعجم المختص، للذهبي، (ص٢٦٩)، تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة، طبع: مكتبة الصديق المملكة العربية، الأولى سنة ١٩٨٨، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، (٣/ ٤٠٠- ٤٠٣)، بدون طبع وتاريخ، وشذرات الذهب، لابن العماد، (٨/ ٢٨٧- ٢٩١)، سابق، والنجوم الزاهرة، لابن تغري (١٠/ ٢٤٩)، طبع هيئة قصور الثقافة مصر، ٢٠٠٨، والأعلام، للزركلي، (٦/ ٥٦)، السابق.

(٣) (تفسير الخواطر)، للإمام محمد متولي الشعراوي، (١٤/ ص٨٧٢٩)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، سنة ١٩٩٧.

والإماتة.. إلخ لتلازم صفات أفعال الله، وكذلك دراسة محدَّدة لم أُرِد الدُّخُولَ من خلالها في تفاصيل (الإعجاز العلمي)؛ لتحسب عليه، واكتفيت بالإشارة لمواطن الإعجاز العلمي المختص بخلق الأكوان والإنسان؛ لعل في هذا الطرح الجديد فضٌّ لاختلاف بين العلماء حول (الإعجاز العلمي)[1]؛ لسيرها في ذات السياق فلا نجري وراء كل ناعق بلا رَوِيَّة، ولا نترك ما ثبتت إشارة القرآن إليه بالكلية، ومن ذلك أفعال الخلق في القرآن.

۞ منهج الدراسة:

اتخذت المنهج الوصفي: حيث أقوم ببيان معنى أفعال الخلق من حيث اللغة، ثم أحاول استخراج الشواهد القرآنية الدالة على خلق الأكوان والإنسان، وما فيها من دلالات، دون استقراء جميع المواضع، والمنهج التحليلي: حيث أقوم بتحليل ما يفيد مقام الاستدلال من النص القرآني كدليل متصل بمدلول معيَّن، محاولا بيان وجه انسجام فعل الخلق مع المنطق، ومخاطبة العقول.

۞ خطة الدراسة:

تتكون الدراسة من مقدِّمة وأربعة مباحث وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع، وفهرس عام بمحتوى الدراسة.

المقدمة: تشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وأهمية الدراسة، وأهدافها، ومنهجها، وخطتها.

المبحث الأول: (تمهيد)، ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: المراد من أفْعَالِ الخَلْقِ.

(١) انظر: (مناهل العرفان في علوم القرآن)، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، (٢/ ٣٥٣- ٣٦١)، طبع: عيسى الحلبي، سنة ١٩٨٠، وانظر (مباحث في علوم القرآن)، للشيخ مناع القطان، (ص ٢٧٠- ٢٧٥)، طبع: مؤسسة الرسالة، الطبعة (٢٧) سنة ١٩٩٥.

المطلب الثاني: كثرة أفْعَالِ الخَلْقِ

المطلب الثالث: دلالة أفعال الخلق.

المبحث الثاني: (أفْعَال الخَلْقِ بين النظر والتحدي والإعجاز)، ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: علاقة أفْعَالِ الخَلْقِ بالنظر.

المطلب الثاني: التحدِّي بأفْعَالِ الخَلْقِ.

المطلب الثالث: إثبات عجز البشر عن القيام بالخَلْقِ.

المبحث الثالث: (معاني أفْعَالِ الخَلْقِ في القرآن ودلالتها)، ويتكون من سبعة مطالب:

المطلب الأول: معاني الفعل (خلَق) ودلالته.

المطلب الثاني: معاني الفعل (صوَّر) ودلالته.

المطلب الثالث: معاني الفعل (سوَّى) ودلالته.

المطلب الرابع: معاني الفعل (أنْشَأ) ودلالته.

المطلب الخامس: معاني الفعل (فَطَر) ودلالته.

المطلب السادس: معاني الفعل (ذَرَأ) ودلالته.

المطلب السابع: معاني الفعل (بَرَأ) ودلالته.

المبحث الرابع: (تقييم نظريات الإلحاد بأفعال الخلق)، ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: نظرية التطور في ميزان أفْعَالِ الخَلْقِ.

المطلب الثاني: كبرياء العلم في ميزان أفْعَالِ الخَلْقِ.

الخاتمة : تشتمل على أهم النتائج، والتوصيات.

قائمة بالمصادر والمراجع.

فهرس بمحتوى الدراسة.

والله ولي التوفيق والرشاد

كتبه الفقير إلى عفو ربه ومولاه

د. الأمير محفوظ محمد أبو عيشة

في القاهرة - ربيع الأول (١٤٤٠ هـ / ٢٠١٨م)

.....

المبحث الأول

تمهيد

إن عملية التدبر لـ (أَفْعَالِ الخَلْقِ) بغية استخراج دلالتها كدالٍّ من دلائل الإيمان تقوم أولًا على تصور المراد منها، وهو أمر يستلزم بيان المراد من أفعال الخلق بتحديد بعضها بالدراسة، ثم بيان معنى كلمة الدلالة بغية تعريف مصطلح (دلالة أفعال الخلق) الذي يعتبر محط فائدة الدراسة، وما بينهما من علاقة التوصيف أو حتى التضايف، وهذا ما أسعى إلى إجلاء النظر فيه فيما يلي.

المطلب الأول: المراد من أفعال الخلق:

ليس المراد من (**أَفْعَالِ الخَلْقِ**) المفهوم الاعتقادي حيث يفهم من الأفعال عموم حَدَثٍ أو إحدَاثٍ مجرَّد أو حتى الزمان، فليس المراد من الخَلْق كمصدر بمعنى اسم المفعول؛ فيكون معنى أفعال الخلق: أفعال المخلوق، فهذا مجاله مبحث (**أفعال العباد**) من مباحث الاعتقاد، لكن المراد من أفعال الخلق ما لها من وجه اتصال بـ(**صفات أفعال الله تعالى**)[1]؛ لأن الله خالق بارئ مصور.

ولما كان الفعل (**خَلَق**) بمشتقاته الأصل في الباب، والأكثر انتشارًا في الكتاب، والأظهر دلالة على التحدي والإعجاز، وكانت دلالته على وجوب الإيمان أظهر من بقية الأفعال؛ لأنه إيجاد على غير مثال سابق من محض عدم،

(١) انظر: (الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به)، للإمام الباقلاني، (ص٢٦)، تحقيق: الإمام محمد زاهد الكوثري، طبع مكتبة الخانجي بالقاهرة، الرابعة سنة ٢٠٠١، وانظر (الاعتقاد)، للإمام البيهقي، (ص٣٧-٣٨)، طبع: دار السلام الدولية بالقاهرة، بدون تاريخ، وللأمانة أقول: الإمام النسفي لم يعتبر الخلق من صفات الأفعال بل من صفة تكوين الخلق، فقال: (إن التخليق والترزيق والتصوير والإحياء والإماتة مما أسند إلى الله تعالى كل منها راجع إلى صفة حقيقية أزلية قائمة بالذات هي التكوين)، انظر: (العقائد النسفية)، للإمام النسفي، (ص٤١)، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، طبع: مكتبة الكليات الأزهرية، سنة ١٩٨٨.

ولما تسمَّى الله تعالى بـ(الخالق والخلاق)، لما كان الأمر كذلك توجَّه النظر إلى تسمية هذه الأفعال بـ(أفعال الخلق) على سبيل إضافة الخلق للأفعال.

ويمكن تعريف (أفْعَال الخَلْق) فأقول: (**كل فعلٍ وَرَدَ فِي القُرْآنِ**[1] **دالٍّ علَى الخَلْقِ والإنشاء علَى غَيرِ مِثَالٍ سَابقٍ في صورة من الإبدَاعِ والإحْكَامِ وَالإتْقَانِ**)، ويدخل في دلالة الفعل كل ما اشتق منه من المشتقات كدلالة المصدر أو اسم الفاعل أو المفعول على الإبداع والإحكام والإتقان كذلك، خاصة إذا استمدت دلالتها الشرعية من دلالتها اللغوية.

المطلب الثاني: كثرة أفعال الخَلْق:

قد ورد في القرآن أَفعَالٌ كثيرة تدل على الخلق والتكوين والإنشاء؛ لأن أفعال الخلْق لها مظاهر كثيرة وأحوال مختلفة يصح الاستدلال بها على الإيمان، ومن أبرز الأفعال الدالة على الخلق في القرآن: (**خَلَقَ، وأَنْشَأ، وصَوَّرَ، وسَوَّى، وفَطَر، وبَرَأ، وذَرَأَ، وقَضَى، وجَعَل، وأَخْرَج، ودَحَا، وبَنَى، وأتقن، وصَنَع، وبَثَّ، وأَحْيَا، وبَدَأ**..) الخ وليس المراد من هذه الدراسة استقصاء جميع (أفعال الخلق) إنما المراد منها استخراج دلائل الإيمان بالله من خلالها؛ لذلك فقد اكتفت الدراسة بالبحث في سبعة أفعال، هي: (**خَلَق وصوَّر وسَوَّى وأَنْشَأ وفَطَر وبَرَأ وذَرَأ**)، وهي أشهر الأفعال الواردة في القرآن للدلالة على الخلق إجمالًا وتفصيلًا، وما لا يدرك كلُّه لا يترك جلُّه.

وإن ذلك الاكتفاء لأسباب عدة، منها ما يلي:

❖ **أولًا**: تغطية الأفعال السبعة هذه هدف الدراسة الأول؛ من (**التنوع**

(١) آثرت دراسة (أفعال الخلق) في القرآن لإظهار التحدي والإعجاز، ولا يمنع ذلك ورود أفعال للخلق في السنة النبوية المطهرة، مكتفيًا بالاستئناس ببعض الشواهد الدالة من السنة المطهرة، وفي النية إن شاء الله استكمال أفعال الخلق بدراسة خاصة.

في الاستدلال على قضايا الإيمان) بعموم خلق الأنفس والآفاق، ففيها دلائل إيمانية ملزمة شرعًا وعقلًا لوجوب الإيمان بالله -تعالى- خالق الكون بارئ النِّسَم؛ ولما كان ظهور الاستدلال بأفعال الخلق جليًّا في خلق الأكوان والإنسان، لقوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وكذلك الاستدلال بأفعال الخلق محقق للإعجاز بالظواهر والنواميس الكونية اعتبرتها من الشواهد الدالة على الإيمان، وتأكدت صلاحيتها للاستدلال على الإيمان بالله تعالى.

❖ **ثانيًا:** تغطية الأفعال السبعة هدف الدراسة الثانِي من **(إثبات التحدي بـ(أَفْعَالَ الخَلْقِ)، ومعرفة مدى عجز البشرية)** فلما كان ظهور التحدي بأفعال الخلق جليًّا في خلق الأكوان والإنسان، لقوله: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان: ١١]، اعتبرتها من أدلة الخلق والإيجاد على غير مثال سابق.

❖ **ثالثًا:** إن أفعال الخلق السبعة تمتاز بغزارة الدلالة بامتياز، وشدة الوضوح، وإصابة المطلوب.

❖ **رابعًا:** توفر مُشتَركات دلالية بين أفعال الخلق السبعة، منها ما يلي:

-ورود أفْعَالِ الخلْقِ السَّبعة كلّها في الكتاب نصًّا بصيغة الفعل أو بمشتقاتها اللغوية الأخرى وهذا يدل على أن دلالتها -في كثير من الأحيان- في محل اللفظ، والنطق والعبارة.

- ومِن المُشتَركات إفادة أفعال الخلق السبعة معنى الخلق من عدم منها **(خَلَقَ وفَطَرَ وبَرَأ وذَرَأ)**، وإفادتها الإبداع في الخلق بتسوية المخلوق، وتحسين صورته، وتزيين هيئته فيما بعد الخلق والتخليق، مثل دلالة الفعل **(صوَّر وسوَّى وأَنشَأ)** ففيها دلالة على مزيد الإتقان في الخلق، وإحكامه بتقويم الشكل، وإبداع الصنع.

- ومن المشتركات صلاحية أفعال الخلق السبعة كلها؛ للاستدلال على كمال صفات الله من القدرة والإرادة والعلم، وأن دلالة الخلق ظاهرة جلية بوضوح براهينها في هذه الأفعال؛ لما لها من دلالات على كمال صنع الله، مما يدل على كمال صفاته -سبحانه-، كما أنها تثبت البعث للأجساد[1] بعد موتها المحقَّق في الدنيا.

- اندراج غالب دلالات أفعال الخلق الأخرى ومنها: (**جَعَل، وأَخْرَج، ودَحَا، وبَنَا، وأَتقَن وصَنَع..**)، في دلالات أفعال الخلق السبعة من غير لَبْسٍ كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، فالفعل (جعل) يدل على منح الإنسان حواسَّه، ومهاراته المختلفة، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ [النحل: ٧٨]، فالفعل (أخرج) يدل على انتهاء فعل الخلق واستقبال الإنسان للحياة، وقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]، والفعل (صنع) ورد مع الجبال، وهي من أعجب خلق الله في كونه، فهي أفعال وإن وردت في نصوص الوحي لكنها تختص غالبًا بدلالات إتقان الخلق، وإحكام الصنع، فلم ترد للدلالة على ذات فعل الخلق، وهو هدف للدراسة[2].

- ومن المشتركات صلاحية تسمية المولى ﷻ ببعضها، فممَّا ورد

(١) البعث: إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ولو قطعت قبل موته، انظر: (تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد)، لشيخ الإسلام إبراهيم البيجوري، (ص٢٠٢)، طبع الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية، سنة ١٩٨٨، وانظر: (التوضيحات الجلية على متن الخريدة البهية)، د. هشام الكامل حامد، (ص١٢٣)، طبع دار المنار، بالقاهرة، ٢٠١٤.

(٢) وسوف أخصص لبقية أفعال الخلق دراسة جديدة إن شاء الله تعالى، وقدر.

تسمية الله بها نصًّا في الكتاب (**خَالِق، وبَارِئٌ، ومُصَوِّرٌ**)، ووَرَد بعضُها فِي السنة، وإن (**فَاطِر**) يصح -على قول بعض أهل العلم- التسمية به بالإضافة كقوله: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ١]، ولم يَرِد النص على تسمية الله تعالى بـ(**نَاشِئ وذَارِئ ومُسِوّي**)، وقد جاز الاتصاف؛ لورود إسناد أفعالها إليه تعالى ولصحة دلالتها، لذلك قيل: (**وما يزال بصفاته قديمًا قبْلَ خَلْقِهِ**)[(١)]، وقال العلماء لا تجوز التسمية بهذه الأفعال[(٢)]؛ وذلك للفرق بين الوصف والتسمية، وبناء على ما سبق فإن هذه الأفعال السبعة المختصة بالدراسة، هي: (**خَلَق، وصوَّر، وسَوَّى، وأَنْشَأ، وفَطَر، وبَرَأ، وذَرَأ**)[(٣)]، وسوف أقوم بدراسة هذه الأفعال السبعة على جهة الاستقلال مستخرجًا وجه التحدي والإعجاز بها، بغية بيان دلالاتها.

المطلب الثالث: دلالة أفعال الخلق:

إن دلالة أفعال الخلق مصطلح مكوَّن من مفردتين **الأولى**: الدلالة، **والثانية**: أفعال الخلق، وقد سبق التعريف بأفعال الخلق وبيان المراد منها، سوف أقوم بتعريف الدلالة لغة واصطلاحا للوقوف على تعريف (**دلالة أفعال الخلق**)، فيما يلي:

أولًا: تعريف الدلالة:

الدلالة مصدر الفعل دَلَل يَدُلّ، والدَليلُ: ما يُسْتَدَلُّ به، وبَيِّن الدِّلالة بِكَسْرِ

(١) (شرح الطحاوية)، لأبي العز الحنفي، (ص٦٥)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع مكتبة دار التراث، بالقاهرة، سنة ١٣٧٣هـ.

(٢) انظر: (المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى)، للإمام الغزالي، (ص١٦٤- ١٦٨)، طبع: مكتبة الجندي بالقاهرة، سنة ١٩٦٨.

(٣) ولا شك عند استقراء جميع أفعال الخلق في القرآن نجدها أكثر من سبعة، لكن اكتفيت بالسبعة لما سبق من أسباب.

الدال، والدَليلُ: الدالُّ، ودَلَلْتُ بِهِ أَدُلُّ دَلالة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥]؛ قيل: معناه تَنقُصه قليلًا قليلًا، قال أبو عبيد[١]: الدالُّ قريب المعنى من الهَدْي، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك، ودَلَلْت بِهذا الطريق: عَرَّفتهُ، وقد دلَّه يدلُّه دَلالَةً ودِلالَةً، والفتح أعلى، وأَدْلَلت بِالطَّرِيقِ إِدْلالًا، والدَّلَّال: الَّذِي يجمع بين البيعين، والاسمُ الدَّلالة والدِّلالة، والدِّلالة: ما جعلته للدليل، وَقَالَ ابنُ دُرَيْدٍ[٢]: الدَّلالة بِالْفَتْحِ: حِرْفة الدَّلَّال[٣]، إذن الدّلالة -بكسر الدال وفتحها- بمعنى الدليل، والدال القريب من الهدى، أو بمعنى السكينة والوقار في الهيئة والشمائل، والذي يعنينا هو أن الدلالة تعني الهداية بما يستدل به من دليل وبرهان.

ثانيًا: الدلالة في الاصطلاح:

هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر، والشيء

(١) أبو عبيد: (١٥٧- ٢٢٤هـ) القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء، الخراساني البغدادي، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، من أهل هراة، ولد وتعلم بها، كان مؤدبا ورحل لبغداد فولي القضاء بطرسوس ١٨ سنة، ورحل لمصر سنة (٢١٣هـ)، وبغداد فسمع الناس من كتبه، وحجَّ فتوفي بمكة، وكان منقطعا للأمير عبدالله بن طاهر، كلما ألف كتابا أهداه إليه، وكان حسن المذهب طيب السيرة، من كتبه: الأموال، وغريب الحديث. انظر: وَفَيَات الأعيان، لابن خلكان، (٤/ ٦٠- ٦٣)، تحقيق: إحسان عباس، طبع دار صادر بيروت، بدون، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لليافعي، (٢/ ٦٣- ٦٤)، تحقيق: خليل منصور، طبع دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، سنة ١٩٩٧، وتهذيب التهذيب، لابن حجر، (٥/ ٦٢٣- ٦٢٥)، تحقيق: حامد عبدالله المحلاوي، طبع دار الحديث بالقاهرة، سنة ٢٠١٠، وشذرات الذهب، لابن العماد، (٣/ ١١١- ١١٢).

(٢) ابن دريد: (٢٢٣- ٣٢١هـ)، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عمان من قحطان أبو بكر من أئمة اللغة والأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. الأعلام، للزركلي، (٦/ ٨٠)، مرجع سابق.

(٣) انظر مادة (دلل) في الصحاح تاج اللغة، لأبي نصر إسماعيل الجوهري، (ت: ٣٩٣هـ)، (٤/ ١٦٩٨- ١٦٩٩)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٧، ولسان العرب، لابن منظور، (ت٧١١هـ)، (ص١٤١٤)، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرين، طبع دار المعارف مصر، بدون.

الأول دالٌّ، والثاني: هو المدلول، ودِلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في أربعة أنواع: عبارة النص، وهي أن يكون الحكم المستفاد من النظم ثابتا بنفس النظم، أو إشارة النص، وهي أن يكون الحكم المستفاد من النظم ثابتا بغير النظم، أو دلالة النص، وهي أن يكون الحكم مفهومًا من اللفظ لغة، أو اقتضاء النص، وهي أن يكون الحكم مفهومًا من اللفظ شرعا. والدلالة اللفظية الوضعية إن دل اللفظ على تمام ما وضع له بالمطابقة فدلالة مطابقة، وإن دل على جزئه بالتضمن فتضمنية، أو دل على ما يلازمه في الذهن بالالتزام فالتزامية[1].

ثالثًا: تعريف دلالة أفعال الخلق:

من الممكن تعريف دلالة أفعال الخلق في القرآن بأنها: (**الأدلة المستمدَّة من أفعالِ الخلْق فِي القرآن الدالَّةُ على حالٍ من أحوَال الخَلْقِ بغية هداية البشر إلى الإيمان الحق**)، فقد تكون الدلالة فِي محلِّ اللفْظِ بعبارتِه أو إشارتِه أو دلالتِه أو مُقتضَاه، وقد تكون الدلالة اللفظية مطابقة على المعنى المراد، أو متضمنة لجزء معناه، أو تدل على ما يلزمها في الذهن.

ولما قامت الدراسة على تدبر أفعالِ الخلْق الواردة في القرآن تبين أن المراد من دلالتها بيان وتفصيل أحوال الخلق المختلفة، فهذه الأحوال دلائل تدل على أن الله تعالى خالق الخلْق، وبارئ النِّسَم، ولما أسندت هذه الأفعال إلى الله -تعالى- كان المراد منها بيان وصف إحكام الخلْق، وإتقانه وإبداعه

(١) انظر: (الإحكام في أصول الأحكام)، للآمدي، (٢/ ٦١- ٦٣)، تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز، طبع دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بدون، و(الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأبي البقاء الكفوي، (ص٣٧٣- ٣٧٧)، تحقيق: د. محمد محمد تامر، طبع دار الحديث بالقاهرة، سنة ٢٠١٤، وانظر: (أصول الفقه)، محمد أبو زهرة، (ص١٢٤- ١٢٨)، طبع: دار الفكر العربي، سنة ١٩٩٧.

في الإنشاء والتكوين من عدم، وتصويره فِي الرحم، فهذه أوصاف تدل على أن الله صوَّر الإنسان فأحسن تصويره، حتى فطره وأخرجه إلى الوجود.

وبتدبر آي الكتاب تبيَّن أن (دلالة أفعال الخلق) واضحة في أن الله خَلَق فأبْدَعَ في أكمل هيئة، وأحسن صورة، وأحكم مثال، وأتقن نظام، وأنَّها ذات دلالات على ضرورة الإيمان بالله تعالى، وعلى كمال صفات الله من قدرة أوجدت الخلائق، وفطرتها من عدم، وإرادة خصصت سمات الخَلْق، ومن علم انكشفت به حقائق الخلق، ففيها دلالات معتبرة ودلائل دافعة للإيمان، بالاستدلال على وجوب الإيمان بالله تعالى ومعرفة كمال صفاته، وأن لهذه الأفعال دخل في مظاهر الكون المُشاهَد (عُلوِيّه وسُفْلِيّه)، مع إعجاز البشرية عن مجاراة فعل الخلق، فالمسلمون في حاجة لتجديد معرفة هذه الدلائل؛ ليتجدد إيمانهم، وغير المسلمين في حاجة إلى معرفتها؛ ليتبدد إنكارهم ويتحول لإقرار بالحق تعالى، وينتقلون إلى دائرة فضلى ومنزلة عليا.

وبعد.. فقد بينت المراد من أفعال الخلق، وحددت بعضها للدراسة، وعرفت بدلالة أفعال الخلق، سوف أبين فيما يلي علاقة أفعال الخلق بقضايا مهمة للغاية هي (النظر والتحدي والإعجاز)، فهل ثمة علاقة بين أفعال الخلق وبينها؟ وهل من ضرورة لبيان التحدي بأفعال الخلق؟ فإن الإجابة على تلك التساؤلات في المبحث التالي.

المبحث الثاني

أفعال الخَلْقِ بين النظر والتحدّي والإعجاز

المطلب الأول: علاقة أفعال الخلق بالنظر:

إن الإسلام لم يمنع من النظر[1]، بل دعا العلماء إلى البحث والتعلم بجميع أدواته، والتطلع إلى الكون والنظر في سننه ونواميسه، وطالب بالكشف عن أسرار الكون بالنظر والاعتبار، فقال: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]، معتبرا ذلك من أوجه الاستدلال على الخالق الأعلى، وذلك لتعرف البشرية أن الإسلام لم ولن يعادي النظر في خلق الله تعالى وكونه.

كما تعددت دعوة القرآن للإنسان المكلَّف العاقل إلى النظر في خلق نفسه ومادة خلقه، عملًا بقوله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، وعملًا بقوله: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق: ٥]، فهذه دعوات قرآنية لعموم البشرية – المؤمن والكافر – إلى النظر في آيات النفس للنظر في مادة خلق الإنسان نفسها؛ ليدرك قدرة خالقه.

وفي القرآن دعوة للنظر في بداية الخلق قال تعالى: ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠])، والأمر (**فَانظُرُوا**) طلب المشاهدة للكشف عن قدرة الله الباهرة عند خلق الإنسان في النشأة الأولى، لعلم الله تعالى بأنه سيتقدم

(١) النظر: ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم، والنظر يأتي بمعنى البحث وهو أعم من القياس، ونظر في الشيء تفكّر فيه، وخُصّ بالتأمل، انظر: الكليات، للكفوي، (ص٧٧٥- ٧٧٦)، باختصار، المرجع السابق.

علم البشرية يتطور تطورًا مذهلا بمراحل خلق الإنسان وعلم الأجنة[1]، وأن البشرية سوف تبهر ببداية خلق الإنسان (النشأة الأولى)؛ ليثبت إعجازها في هذا المجال، وليكون أدعى لمعرفة إمكانية البعث بعد الموت؛ لأن الله هو الفاعل فيهما وهو على كل شيء قدير.

المطلب الثاني: التحدِّي بأفعال الخلق:

إن القرآن تحدى البشرية بفعل الخَلقِ، وبدا ذلك في مواضع من القرآن منها ما يلي:

أولًا: إعلان عموم التحدي بأفعال الخَلْق:

إن إعلان القرآن عن نسبة الخلق إلى الله، وإعلانه عموم تلك النسبة إليه في الخلْقِ سواء خَلْق الأكوان أو الإنسان، وسواء خلق الذرّة أو أنشأ المجرّة، وسواء خلق نجم السماء في السديم، أو نجم الأرض من الأديم، وذلك بصيغ تدل -بقاطع الدليل والبرهان- على دعوى تحدي الكتاب بالخَلْقِ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، ودلالة (كُلّ) في تلك المواضع على عموم نسبة الخلق إلى الله -تعالى- واضحة لوقوعها موقع المفعول، وكذا دلالة كلمة (شَيْءٍ) وهي نكرة في سياق الإثبات فتعم إعلان التحدي بفعل الخلق، هذا التحدي الموجَّه

(١) انظر: (من علم الطب القرآني - الثوابت العلمية في القرآن)، د. عدنان الشريف، (ص٤٩-٧٠)، طبع دار العلم للملايين، بيروت، سنة ٢٠٠١، وانظر: (مراحل تكوين الجنين في الطب الحديث في ضوء الإشارات القرآنية)، د. مبيوع مصطفى عبد الوهاب، (ص٨١)، من الأبحاث المقدمة إلى المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية، المنعقد في جامعة أفريقيا العالمية، السودان الخرطوم، في ديسمبر، سنة ٢٠١١.

إلى عموم البشر كافة، وفي السنة ما يدل على ذلك، منه قول النبي ﷺ: «وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ»(١)، وقال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ»(٢)، فهذا أمر متفق عليه في الكتاب والسنة.

ثانيًا: تأكيد عموم التحدي بالخَلْق:

كان تأكيد عموم التحدي بالخَلْق من خلال أمور ثلاثة:

◈ الأمر الأول: إثبات عِظَم خلْق الأكوان على خلْق الإنسان: ففي سورة غافر قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر: ٥٧]، ومظاهر الإكبار في خلق السموات والأرض من حيثيات عدة منها: الحجم مع الاتساع، الإتقان في الصنع، وكثرة الآيات وتعددها، والدلالة على العظة والاعتراف بأن الله خالق، فلا يقارن خلق السموات والأرض بخلق الناس لإكبار الأول، ففيه تنبيه لعظم خلق السموات والأرض على خلق الناس؛ لذا كان فاصلة الآية بقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فلينتبهوا ويعتبروا حتى يؤمنوا.

◈ الأمر الثاني: انتفاء مساواة القادر على فعل الخَلْق بالعاجز عنه من المنكرين ومعبوداتهم الباطلة: ففي سورة النحل في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]، وذلك نفي للمساواة بين المعبود بحق الذي انفرد بدعوى الخلق، وثبتت له، وبين معبودات لم تدَّع خلْقًا، ولم يثبت

(١) أخرجه الإمام مسلم كتاب الإيمان، باب ما جاء في الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم: (٣٦٧)، والإمام أحمد، في مسند أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، رقم: (١١١١٣)، كلاهما من حديث أبي هريرة، واللفظ لأحمد.

(٢) بقية الحديث: (إِذَا سَأَلَكُمُ النَّاسُ عَنْ هَذَا فَقُولُوا: اللهُ كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَاللهُ كَائِنٌ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ)، أخرجه الإمام مسلم كتاب النكاح باب في العزل، رقم: (٣٦٢٧)، واللفظ له، وأحمد في مسنده، رقم: (١١٦٣٨)، كلاهما من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

لها شيئًا، ففيه تذكير بالفرق بين من يخلق ومن لا يخلق، قال الألوسي: (**وفيه تبكيت للكفار، وإبطالٌ لإشراكهم بإنكار ما يستلزمه ذلك من المشابَهة، بيْنه -سبحانه- وبيْن بُعْد تِعداد ما يقتضي ذلك..، والاقتصار على ذكْر الخلْق مِن بين ما تقدَّم لكونه أعظمه وأظهره**)[1]، وهذا تمهيد لتحدي عموم البشر بالخلق أن ينظروا بإنصاف أيهم أولى بالعبادة الخالق أم من لم يخلق شيئًا أصلًا.

◈ **الأمر الثالث**: نفي مشاهدة الإنسان لفعل خلق الأكوان أو لخلق نفسه: ففي سورة الكهف نفى القرآن مشاهدة البشرية لفعل الخلق الأكوان أو الإنسان لخلق نفسه، فقال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف: ٥١]، لأن التجرؤ على الله تعالى بإنكار الخالقية قد يعود لعدم مشاهدة فعل الخلْق، فمن ظنَّ ذلك فليرجع إلى نفسه يجد أنه لم ير خلق نفسه وذاته لما تناولتها يد القدرة الإلهية بالإيجاد في أرحام الأمهات.

وقد يقول قائل: إن المنجز العلمي اليوم يتيح مشاهدة الجنين في بطن أمِّه منذ أيامه الأولى، فلا وجه لانتفاء مشاهدة الخلق الوارد بقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف: ٥١].

ويمكن الرد على هذا من خلال بيان أن قوله: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ﴾ نفيٌ لمشاهدة فِعْل الخَلْق وهو غاية في الدلالة على التحدي الموجَّه لمنكِر خلق الله للأكوان والإنسان عند ذات فِعْل الخلْق.

أمَّا مشاهدة الأكوان فمسلَّم به؛ لأنه لم تكن سماء أو أرض أو حياة أو وجود لإنسان أصلًا، وهذا لا ينافيه ما ذهب إليه المفسرون -عليهم الرحمة-

(١) انظر: (روح المعاني)، للإمام الألوسي، (١٤/ ١١٧- ١١٨، بتصرف)، طبع: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، بدون تاريخ.

إلى القول بعود الضمير في (أشهدتهم) إلى إبليس وذريته، أو للمشركين[1]؛ لأن وجه الدلالة في فعل المشاهدة والرؤية بغض النظر عمَّن شاهد؛ كما أنه قد تعدد في غير موضع تحدي القرآن بمشاهدة الخلق، كقوله: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٠]، وقوله: ﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾ [الزخرف:١٩]، كما أن العبرة بعموم اللفظ، وإن حملنا دلالة الفعل على الشهادة فإنَّ الشهادة لا تصح يقينًا إلا بمشاهدة ورؤية[2]؛ فعلى مثل الشمس الشهادة تكون.

أمَّا انتفاء مشاهدة الإنسان خلقَ غيرِه، في قوله: ﴿ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾، وفي التفسير: (**أي ولا أشهدتُّ بعضَهُم خَلْقَ بَعضٍ**)[3]، أي انتفاء رؤية الشخص لخلق غيره، وتشير الآية أيضًا لانتفاء رؤية الشخص لخلق نفسه – من باب أولى – عند خلْقه وهو جنين، ففي كلاهما انتفاء مشاهدة فعل الخلق حين التكوين بالرحم، وكلاهما منتف للاستحالة العادية، أو للضعف، أو لعدم الإمكانية، أو الآلة[4].

ولما كان مقام خطاب آية سورة الكهف مقام التحدي، وإثبات العجز عن مشاهدة المنكِر لخلق نفسه، وهو في بطن أمه منذ كان كتلة دمٍ عَالقٍ بالرَّحم

(١) كما في تفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للقاضي البيضاوي، (٢/ ١٤)، طبع: دار الكتب العلمية، الأولى ١٩٨٨، وفي (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي (ج١١/ ص٥) تحقيق: د. محمد إبراهيم الحفناوي، طبع دار الحديث، القاهرة، سنة ٢٠٠٢.

(٢) وفيه غاية التحدي لعموم البشر من جهة، ولخصوص علماء المنهج التجريبي القائم على المشاهدة والتجربة.

(٣) كما في تفسير (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبي البركات النسفي (٢/ ٣٠٦)، تحقيق: يوسف علي بديوي، ومحيي الدين ديب مستو، طبع: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، (١٩٩٨ م).

(٤) ولا ينافي ذلك أيضًا ما طرأ اليوم من إمكانية تسجيل التخليق بوسائط حديثة في شاشة السونار ثم رؤية الإنسان لنفسه بعد حين؛ لأن نفي الرؤية الأولى عند الخلق للإعجاز وقد تم بالفعل، وأما رؤيته فيما بعد فليست محط إعجاز بل يكون محط دعوة القرآن بقوله: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، لحصول العبرة كدافع للإيمان.

بلا عقل تام، أو إدراك كامل، بينما أمرنا الله تعالى باتخاذ أنواع المشاهدة وغيرها في قوله تعالى: ﴿مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥]، وذلك لأن مقام سورة الحج مقام بيان وتفصيل الخلق، فالفعل (لِنُبَيِّنَ) يفيد النظر، ومشاهدة الخلق الأول، وذلك ليتناسب الخطاب القرآني مع تطور أبحاث علم الأجنة[١] حيث تنفع مشاهدة العلماء لعملية التخليق في الأرحام تحت المجاهر في المخابر؛ لأن المقام مقام حصول دوافع الإيمان بالاعتبار، أو حصول إدراك مواطن الانتفاع في الواقع.

فهذه مواطن يظهر من خلالها -بلا أدنى شك- تحدّي القرآن البشرية بالخلق، أو هو تحدٍّ للمنكرين المشغِّبين، أو تحدٍّ للعلماء القائلين بصدفة أو طفرة وطبيعة، تحدَّاهم أن يخلقوا شيئًا من عدم، ومع أنه لم يدّع أحد أنه خلق نفسَه، وبه يتبيّن يقينًا خصوصية فِعْل الخلق بالله رب العالمين، وبعدما جرى التحدي بالمطالبة بالخلق في الكتاب، وخوطبت به البشرية.

إن المعلوم -على سبيل اليقين- أن الله تعالى خالق كل شيء، وما ادعى فِعْلَ الخَلْقِ أحدٌ من سائر البشر -شرقًا وغربًا-، أو ادعى أحدٌ إمكانيةَ القيام بفعل ذلك، ومن الأمر العجيب حقًّا أننا وجدنا من البشر من ادعى الألوهية، كفرعون والنمروذ، لكنه لم يؤثر عن بشر -على مدى تاريخ البشرية- دعوى أنه خلَق شيئًا من عدم، أو أنه خلَق شيئًا ما؛ لذا فإن دعوى الخلق محصورة مقصورة على الله تعالى؛ لأن إسنادها إلى مالك القُوى والقُدَر -تبارك وتعالى-، وإسناد الخلْق لغير الله يحمل على التقدير وليس على الإيجاد من عدم.

(١) علم الأجنة: علم جديد من العلوم المحدثة التي سلطت الضوء على كثير من الحقائق العلمية التي قام عليها الطب الحديث، وكشف بعض الغوامض، ويتطور بصورة سريعة لتمكّن الأدوات العلمية في المخابر المعملية للكشف عما كان مستورًا في مجال علم الجينات الوراثية والاستنساخ، كما ساهم في دحض نظرية (النشوء والارتقاء)، لداروين، انظر: (القرآن والطب الحديث)، د. الصادق عبدالرضا علي، (ص٢٤٣- ٢٤٤)، طبع دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان، سنة ١٩٩١.

المطلب الثالث: إثبات عجز البشر عن القيام بالخلق:

لقد كثر تحدي القرآن للبشرية بصورة ممهِّدة لإثبات عجز البشر عن القيام بعملية الخلق والإيجاد من محض العدم، وذلك في مواضع من كتاب الله تعالى، منها:

❑ أولًا: التمهيد لإعلان عجز البشرية عن الخلق:

ظهر هذا التمهيد لإعلان عجز البشرية عن الخلق في سؤالات ومطالب واضحة في سورة الواقعة في قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩]، ثم قوله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢]، وإن هذا يدل على الإقرار بالعجز في أفعال أخرى كإنبات الزرع، فقال: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤]، وإنزال الماء، فقال: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٨، ٦٩]. وهو استفهام تقريري للاستدلال بأفعال الخلق، والإنشاء على انفراد الله بالخلْق من عدم، ومع تكرار الاستفهام المفيد إثبات عجز البشر عن الخلق والإنشاء من عدم.

فإذا أخذنا المثال الأول الذي تحدّى الله البشرية بخلقه وهو (**المني**)[1]، وهو سبب طبيعي لخلق ذرية آدم، فقال عنه ربنا: ﴿ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٩]، فسكتت البشرية كلها ولم تجب حتى يوم الناس هذا، قال الإمام

(١) المني من صلب الرجل وترائب المرأة يتكون منهما على السواء النطفة، وهي سبب الخلق، لذا وصفت في القرآن بأوصاف عدة منها، قوله: ﴿ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [المرسلات: ٢٠]، وقوله: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ [الإنسان: ٢]، وقوله: ﴿ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٧]، وقوله: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٦]، وغيرها، والنطفة سر خلق ذرية بني آدم، انظر: (خلق الإنسان بين الطب والقرآن)، د. محمد علي البار، (ص٣٦٦ – ٣٦٧)، طبع: الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرابعة سنة ١٩٨٣، وانظر: (من علم الطب القرآني)، د. عدنان الشريف، (ص٤٩ – ٥١)، طبع: دار العلم للملايين، الخامسة، سنة ٢٠٠١.

الرازي: (هذا المني أنتم تخلقونه أم الله؟ فإن كنتم تعترفون بالله -تعالى- وقدرته وإرادته وعمله، فذلك يُلزِمكم القولَ بجواز الحشر وصحته..، وقال الطبيعيون: نحن موجودون من نُطَفِ الخَلقِ، بجوَاهر كامنة، وقبل كل واحد نطفة واحد[1]، فقال تعالى ردًّا عليهم: هل رأيتم هذا المني، وأنه جسم ضعيف متشابه الصورة، لابد له من مكوِّن، فأنتم خلقتم النطفة، أم غيركم خلقها؟ ولابد من الاعتراف بخالق غير مخلُوق قطعًا للتسلسل الباطل، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾، ولا يرتاب فيه أحد من أول ما خلق الله النطفة، وصوَّرَها وأحياها، فلِم لا تصدِّقُون أنّه واحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ قَادِرٌ علَى الأشياء، فإنّه يُعِيدكم كما أنشأكم في الابتداء)[2]، وقال ابن عاشور: (وقد حصل من نفي الخلق عنهم، وإثباته لله -تعالى- معنى قصر الخلق على الله)[3]، من هنا علمنا وقوع صريح التحدي بالخلق، كما أشارت الآية إلى ثبوت العجز.

❑ ثانيًا: الإخبار عن سبق فِعل الخلق:

في سورة الواقعة إخبار عن سبق الله بفعل الخلق والإنشاء من عدم، فقال تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠، ٦١]، قال الإمام الرازي: (والظاهر أن المراد من قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ حقيقته، وهو أنَّا ما سُبِقْنَا، ويحتمل شيئين: أحدهما: أن يكون معناه أنه هو الأول لم يكن قبله شيء، وثانيهما: في خلق الناس، وتقدير الموت فيهم ما

(١) هذا عرض الإمام الرازي لأقوال أهل الطبيعة في عصره مما يدل على قدم دعاوى الإلحاد، مما يدعو لضرورة الوقوف عليها وتقييمها مع التصدي لها بحكمة وتعقل.

(٢) انظر: (التفسير الكبير)، للإمام الفخر الرازي، (٢٩/ ١٧٦ - ١٧٧)، طبع دار الفكر للطباعة والنشر، الأولى سنة ١٩٨١.

(٣) (التحرير والتنوير)، لابن عاشور، (٢٧/ ٣١٣)، طبع الدار التونسية للنشر، سنة ١٩٨٤.

سبق)[1]، وعلى الاحتمال الثاني - وهو أقرب للتحدي والإعجاز-، أي ما سبقه سابق في فعل الخلْقِ مطلقًا، فقال ابن عاشور: (**والسبق مجاز من الغلبة والتعجيز؛ لأن السبق يستلزم أن السابق غالبٌ للمسبوق، فالمعنى وما نحن بمغلوبين**)[2]، وسواء قلنا بالحقيقة - وهو الأولى- أو المجاز[3] فالمؤدَّى واحد هو إثبات التحدي وحصول عجز البشرية في هذا السبْقِ.

ولو ادعى مدَّع من دون الله -سبحانه- للخلق؛ لبيَّن ذلك المدَّعي -مجرد دعوى- الخلق والإيجاد، ثم كذَّب سبق الله في فعل الخلق -حاشاه سبحانه -، وإذ يكون هذا لتناول أهل الشقاق والنفاق هذا المغمز وذاك الملمز، وهذا لم يقع في الماضي بشهادة التاريخ والواقع، ولن يقع مستقبلا؛ لأن الله كان قبل كل شيء خالق كل شيء، إذن يدل هذا على عموم التحدي بفِعْل الخلق من الله، وأنه لا يمنعه شيء من أن يخلق ما يشاء، وبذلك ندرك أن التحدي بفِعْلِ الخَلْقِ ورد في الكتاب.

وفي السنة ما يدل على التحدي بالخلق فقال النبي ﷺ: «... **فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**»[4] فطالب النبيُّ أهلَ الإنكار للخالق -سبحانه- القيام بفعل الخلق، قال الإمام النووي: (**وهذا أمر تعجيز**)[5]، فاتفقت السنة والكتاب على التحدي بالخلق.

(١) (التفسير الكبير)، (٢٩/ ١٨٠)، مرجع سابق.

(٢) (التحرير والتنوير)، لابن عاشور، (٢٧/ ٣١٦)، مرجع سابق.

(٣) المجاز: لفظ مُسْتَعْمل بِوَضْع ثَان لعلاقة، أو ما جاوز عن محله الموضوع له إلى غيره لمناسبة بينهما، انظر: (الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة)، زكريا الأنصاري، (ص٧٩)، تحقيق: د. مازن المبارك، نشر: دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، الأولى، ١٤١١هـ.

(٤) أخرجه الإمام البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾، رقم: (٧٦٥٤)، والإمام مسلم كتاب اللباس والزينة باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة رقم: (٥٦٦٥) كلاهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، واللفظ لمسلم.

(٥) (شرح صحيح مسلم)، للإمام النووي، (١٤/ ٩١)، طبع: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، سنة ١٩٩٦، وانظر: (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، للإمام ابن حجر، (١٩/ ٦١٧)، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، طبع: دار الغد العربي، القاهرة، سنة ١٩٩٢.

❑ ثالثًا: دعوة البشرية للقيام بفعل الخلق:

لقد قامت دعوة القرآن البشرية – قبل بزوغ الثورة العلمية –وما زالت قائمة– قال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان: ١١]، ففي قوله: ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ طلب رؤية شيء واحد قد خلقه أحد من دون الله –تعالى– من عابد ومعبود من دون الله، قال ابن عاشور: **(وصوغ أمر التعجيز من مادة الرؤية البصرية أشد في التعجيز ـ أي من الرؤية العلمية؛ لاقتضائها الاقتناع منهم بأن يحضروا شيئًا يدَّعُون أن آلهتهم خلقته، ويجوز أن تكون الرؤية من قوله (فَأَرُونِي) علمية أي فأنبؤوني، والفعل معلق عن العمل بالاستفهام بماذا، فيتعين أن يكون فأروني تهكما؛ لأنهم لا يمكن لهم أن يكافحوا الله، زيادة على أن الأمر مستعمل في التعجيز)**[(١)]، **(فخلْق السماوات والأرض والشمس والقمر إعجاز للدنيا كلها وخصوصًا الكفرة فيها، ومسألة الخَلْق هذه من الوضوح بحيث لا يستطيع أحد إنكارها)**[(٢)]، هذا الطلب القرآني شاهد حاضر منذ نزول القرآن وإلى يوم الناس هذا، يسمعه الناس جميعا ومنهم العلماء كل في مجال تخصصه العلمي الدقيق، من عالم طبيعة، أو طبيب متفرد، أو فلكي نحرير.. وهم بين منكر أو جاحد، فلم يُجِبْ واحدٌ منهم فثبت بالتالي عجزُ البشرية كلِّها عن فعل الخلق والإيجاد من عدم.

(١) (التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن عاشور، (٢١/ ١٤٧)، بتصرف، سابق، وانظر: (التفسير الكبير)، للرازي، (٢٥/ ١٤٥)، سابق، و(الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، (١٤/ ٣٨٠)، تحقيق: د. محمد إبراهيم الحفناوي، طبع دار الحديث بالقاهرة، سنة ٢٠٠٢، و(أنوار التنزيل)، للبيضاوي، (٢/ ٢٢٧)، طبع دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، سنة ١٩٨٨، و(إرشاد العقل السليم)، لأبي السعود، (٧/ ٧٠)، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، و(روح المعاني)، للآلوسي، (٢١/ ٨٢)، سابق.

(٢) (تفسير الخواطر)، للإمام محمد متولي الشعراوي، (١٨/ ص١١٢٥٤)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، سنة ١٩٩٧.

❑ رابعًا: إعلان عجز البشرية عن الخلق:

إن نفي إمكانية خلق ذبابة مستحقرة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، يبدو بجلاء في نداء عام، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، والناس تطلق على جميع عقلاء البشر بالسوية، ومنهم علماء الطبيعة بكافة أجناسهم وتخصصاتهم من باب أولى، وفي قوله ﴿لَن يَخْلُقُواْ﴾ قال ابن عاشور: (**استعمل أداة النفي (لن) لتنزيل المخاطبين منزلة المنكرين**)[1].

وإن إثبات العجز محقق لقول الله: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾، فالفعل (ضَعُفَ) بصيغة الماضي دالٌّ على الثبات والاستمرار، وإثبات الضَّعفِ عام في كلٍّ من الطالب والمطلوب[2]، وهما مفردتان تدلان على العجز والضعف نظريًّا علميًّا، وتطبيقيًّا عمليًّا سواء في الإمكانية أو الآلية، وبالآية الكريمة إشارة لطيفة إلى الضعف العام ماديًّا ومعنويًّا، فقوله: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ حكم بالضعف البشري المستمر قبل بلوغ العلم قمة أسبابه بالقرن الحادي والعشرين بالتقدم التكنولوجي، بل وبعده كذلك؛ لذلك أمرهم بالاستماع ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾، والاستماع سماع بإصغاء، ولم يخرج من يدَّع الخلق إلى يومنا هذا مما يشهد بقيومية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي حَكَمَ بِهذا الحُكم الباقي أبدًا.

إن فعل الخَلْق: عملية طبيعية تُظهِر فائق قدرة الله تعالى الباهرة التي لا يشاركه فيها أحد من البشر، وإن إعلان عجز البشرية عن عموم فعل الخلْق

(١) (التحرير والتنوير)، لابن عاشور، (١٧/ ٣٤١)، مرجع سابق.

(٢) في تفسير (الطالب والمطلوب) قولان: أن الطالب الصنم والمطلوب الذباب، أو أن الطالب عابد الصنم والمطلوب نفس الصنم، انظر: (التفسير الكبير)، للإمام الرازي، (٢٣/ ص٦٩-٧٠)، سابق، و(التحرير والتنوير)، لابن عاشور، (١٧/ ٣٤٢).

والإيجادِ من عدم أمرٌ ثابت وقعت فيه البشرية بعدما طالب القرآن البشر -مؤمنين وكافرين، طائعين وعاصين- بخلق شيءٍ -أيِّ شيءٍ- مهما كان كشمس وقمر عظيم الجِرْم، أو حشرة كذبابة صغيرة الحَجْم، أو خلْق نطفة مستقذرة، أو حيوانات مستحقرة من سائر المخلوقات فلم يستجب عالمٌ واحدٌ لذلك التحدِّي إلى يومِنَا هذَا، وبالتالي ثبت عجزُ البشرية كلِّها، وقد أثبت القرآن عجز البشرية عن الخلق.

ومن هنا ندرك دلالة أفعال الخلق في القرآن على الأمرين:

الأول: التحدي بأفعال الخلْق.

الثاني: إثبات عجز البشر عن القيام بفعل الخلْقِ.

وبعد.. فقد بينت علاقة أفعال الخلق بقضايا (النظر والتحدي والإعجاز)، وبينت ضرورة بيان التحدي بأفعال الخلق، فما هي معاني أفعال الخلق السبعة المنتخبة؟ وما هي دلالاتها المستخرجة منها؟ وإجابة تلك التساؤلات في المبحث التالي.

المبحث الثالث

معاني أفعال الخلق في القرآن ودلالتها

هذا المبحث في مطالب يقوم كل مطلب على تدبّر فعلٍ من أفعال الخلق السبعة، وسأقوم بدراسته أولًا باستخراج معاني الفعل اللغوية، ثم أقوم باستخراج ما تيسَّر من دلالاته.

المطلب الأول: معاني الفعل (خَلَق) ودلالته:

➢ أولًا: معاني الفعل (خَلَق) في اللغة:

الخَلْق: ابتداع الشيء على مثال لم يُسبَق إليه، وكل شيء خلَقَه الله فهو مُبتدِئُه على غيرِ مثال سُبِقَ إليه، وخَلَقَ اللهُ الخَلْقَ: أَوجَدَه عَلَى تَقدِيرٍ أَوجبَتْه الحِكمَةُ، وهو ربُّ الخلِيقَةِ والخلَائقِ، قَال الأنباري[1]: الخَلْقَ في كلام العرب على وجهين: **أحدهما**: الإنشاء على مثال أبْدَعَه. **والثاني**: التّقدِير. وقال ابن سيده[2]: خَلَقَ اللهُ الشيء يَخلُقه خَلقًا، أَحدَثَه بعد أن لم يكن. والمصدر الخَلْق، فأصل الخَلْقَ التَّقدِير، باعتبار تقدير ما منه وجودُها، وباعتبار الإيجاد على وِفْق التقدير، والخَلْق بمعنى المَخلُوق، والخَلْق: كل فعلٍ وُجِدَ

(١) أبو بكر بن الأنباري: (٢٧١- ٣٢٨هـ) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أحفظ الناس للشعر والأخبار، كان صدوقا ثقة ديّنا، ولد بالأنبار على الفرات، وتوفي ببغداد، تردد على أولاد الخليفة الراضي يعلمهم، من كتبه (الزاهر) في اللغة، وإيضاح الوقف والابتداء، وعجائب علوم القرآن، وخلق الإنسان، وغريب الحديث، انظر، وَفَيَات الأعيان، لابن خلكان، (٤/ ٣٤١- ٣٤٣)، وبغية الوعاة، للسيوطي، (١/ ٢١٢- ٢١٤)، والأعلام، للزركلي، (٦/ ٣٣٤)، سابق.

(٢) ابن سِيدَه: (٣٩٨- ٤٥٨هـ) علي بن إسماعيل المعروف بابن سِيدَه، أبو الحسن ولد بمرسية شرق الأندلس، وانتقل إلى دانية فتوفي بها، هو إمام لغوي أديب، كان ضريرًا، من كتبه المخصص والمحكم، انظر: الأعلام، للزركلي، (٤/ ٢٦٣- ٢٦٤)، سابق.

مِـن فاعله مُقدَّرا لا على سَـهوٍ وغَفلـةٍ، والله تعالى خلَق فأبْـدَع فأَحكَم خَلْقَه، والـخَلقُ هو الأملس، ومنه حَجَر أَخْلَق، وصَخرة خَلْقَاء[1].

ثانيا: دلالات الفعل (خَلَق):

بتدبـر آيات القـرآن الوارد بِها الفعـل (خَلَق) ومشـتقاته يمكننا الوقوف على الدلالات التالية:

- **أولًا:** الفعـل (خَلَقَ) الأكثر ورودًا في الكتاب؛ لأن مادة الخلق اللغوية وردت في القرآن الكريم قرابة (**مائتين وخمسين مرة**) بمختلف مشتقاتها، منها: (خَلَقَ، وَيَـخْلُقُ، وَخَالِقٌ، نَخلُقُكم، وخَلَقْنَا، وَخَلْقًا، وَخَالِقُون)، ومن دلالات هذا أمور منها:

١- الإيجاد على غير نسق سابق؛ ففعل الخلق هو أصل الباب على الحقيقة.

٢- الدلالة على تحدي البشرية وإثبات إعجازها.

٣- إثبات أن فعل الخلق لله بقدرته وإرادته وعلمه دون سـواه؛ لذا حثّنا ربّنَا على التصديق، فقال: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٧].

٤- دلَّ انتشـار تلـك المادة في ثنايا آي القـرآن على رجوع أفعال الخلق إليها، وإن ظهرت لها معانٍ، ودلالاتٌ أُخرَيَات.

(١) انظـر مـادة (خلـق) في: (لسـان العـرب)، لابـن منظـور، (ص١٢٣٤- ١٢٤٤)، مرجـع سـابق، و(المصباح المنير)، للفيومي، (ص١١٠)، طبع دار الحديث، سـنة ٢٠٠٣، و(المفردات في غريب القرآن)، للراغب الأصفهاني، (ص١٥٧- ١٥٨)، تحقيق: محمد سـيد الكيلاني، طبع دار المعرفة، بيروت لبنان، بدون، و(النهاية في غريب الحديث والأثر)، لابن الأثير، (٢/ ٧٠)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، طبع: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون، و(أسـاس البلاغة)، للزمخشـري، (١/ ٢٦٤)، تحقيق: محمد باسـل عيون سـود، طبـع دار الكتب العلمية بيروت لبنان، سـنة ١٩٩، و(الفائـق في غريـب الحديث)، للزمخشـري، (١/ ٣٩٢)، تحقيق: د. علي محمـد البجاوي، طبع مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الثانية، بدون، و(الكليات)، لأبي البقاء الكفوي، (ص٣٥٢)، طبـع دار الحديـث بالقاهـرة، سـنة ٢٠١٤، و(المعجـم الوسـيط)، وضـع مجمـع اللغـة العربية، (ص٢٥٢)، طبع مكتبة الشروق الدولية، الرابعة سنة ٢٠٠٤.

■ **ثانيًا:** إطلاق فِعْل الخلْقِ على مفهومين:

◆ **أولهما:** في الإيجاد على غير مثال سابق، والإبداع في التكوين، وهذا ينفرد به الله -سبحانه- لا يشركه أحدٌ من خلقه فيه، قال الراغب: (**وليس الخلق بمعنى الإبداع إلا لله تعالى**)[1]، فإن الفعل خَلَق المُسنَد إلى الله تعالى دلالته على الحقيقة دون المجاز، ودلالته في محل النطق والعبارة، وهو محط عناية الدراسة واستخراج دلالاته، فلا أعتقد مجيء الفعل (خَلَق) مسندًا إلى الله ﷻ على سبيل المجاز في أي موضع من المواضع الواردة في القرآن.

◆ **ثانيهما:** التقدير، قال الراغب: (**وأما الخلق بمعنى الاستحالة فقد جعله الله لغيره في بعض الأحوال كعيسى، ولم يُرِدْ أنه يُحدِث معدومًا**)[2]، فإذا أسند فعل الخَلْقِ إلى الله -بمعنى التقدير- فهو يعني إيجادَ المخلوق من عدم، وخلقَ حواسه وسماته، وتصويره في أحسن صورة، وما أطلق على نبي الله عيسى عليه السلام في قوله: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، فلا يعني الإيجاد من عدم بل يعني (**أقدّرُ لكم أي لأجل تحصيلِ إيمانِكم**)[3] أي يهيئ ويشكِّل من الطين كهيئة الطير ثم يطلب من الله تعالى، وليس هذا محل عناية الدراسة.

■ **ثالثًا:** استعمال الفعل (خَلَق) مع كافة الناس على معنيين: **أحدهما:** التقدير، **والثاني:** الكذب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، واستعمال الفعل (خلق) في وصف الكلام يُراد به الكذب[4]، ولا يوصف القرآن وهو كلام الله تعالى بأنه مخلوق، وليس هذا محط عناية الدراسة.

(١) (المفردات في غريب القرآن)، للراغب، (ص١٥٧)، مرجع سابق.

(٢) انظر: المرجع السابق، (ص١٥٧ - ١٥٨).

(٣) (إرشاد العقل السليم)، لأبي السعود، (٧/ ٧٠)، مرجع سابق.

(٤) قال الراغب: (من هذا الوجه امتنع كثير من العلماء إطلاق لفظ الخلق على القرآن) انظر: المفردات، (ص١٥٨)، وهذا الكلام من الراغب يوهم أن إطلاق الخلق على القرآن مسألة خلافية؛ والأمر ليس كذلك؛ لأن إجماع أهل السنة والجماعة على أن: (القرآن كلام الله غير مخلوق)، ولم يخالف في ذلك سوى المعتزلة.

▪ **رابعًا:** عموم ورود الفعل (خَلَق) مع الإنسان والأكوان علويّة وسفليّة من سماء وكواكب ونجوم وشمس وقمر، وجبال وشجر ودواب وبشر، للدلالة على أمور:

١- عموم الإبداع والتكوين.

٢- طلاقة القدرة في تعدد أنماط خلق البشر الأربعة، من آدم وحواء وعيسى وسائر البشر[(١)].

▪ **خامسًا:** استعمال الفعل (خَلَق) لبيان خلق أصل البشرية من تراب، وتناسلها من آدم، ثم تناسل الذريّة من نطفة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ [فاطر: ١١]؛ ليكون إقرارًا لكل من يعي الخطاب، قال ابن عاشور: (**فابتدأ بذكر أصل التكوين الأول من تراب وهو ما تقرَّر علمُه لدى جميع البشر، من أن أصلهم -أي آدم- خُلِق من طين، فصار ذلك حقيقة مقرَّرة، وهو ما يعبَّر عنه بالأصول الموضوعة القائمة مقام المحسُوسَات (المسلَّمات)، ثُمَّ استدرجهم للتكوين الثاني بدلالة خلق النسل من نطفة، ثم بيَّن أن شرط التكوين الثاني هو الزواج ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾**)[(٢)]، لأن الله أوجد آدم عليه السلام من محض العدم، وهو أبو البشرية كلها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾ [النساء:١]، ثم خلق الله الذرية عن طريق البثِّ[(٣)]، وتناسل الذرية من زوجين.

---

(١) وسيأتي مزيد توضيح لهذه القسمة الرباعية في خلق البشر كمعيار تقييم عملي لنظريات الإلحاد في المبحث الرابع.

(٢) (التحرير والتنوير)، لابن عاشور، (٢٢/ ٢٧٦)، مرجع سابق.

(٣) لذلك استعملت الآية الكريمة الفعل (بَثَّ) للدلالة على خلق الذرية، وهو ما سيأتي من دلالة للفعل (ذرأ).

■ **سادسًا:** اقترن بالفعل (خَلَق) جملة (**كُن فَيَكُونُ**)، فقد لوحظ باستقراء القرآن وجود مواضع ثلاثة: أولها في سياق خلق السموات والأرض في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام: ٧٣]، والمرتين الباقيتين وردتا في سياق خلق النبي عيسى عليه السلام أولهما قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٤٧]، في سياق الرد على استفهام مريم، وثانيهما قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [عمران: ٥٩]، في سياق مساواة خلق عيسى بآدم، ودلالات ذلك:

١- بيان أن الله تعالى لا يعجزه فعل الخلق مهما كان كخلق السموات شديدة الإحكام، أو خلق الأرض واسعة التدبير لأقوات العباد، أو كان خارجًا على المعتاد[(١)] كخلق الله النبيّ عيسى.

٢- إظهار كمال صفات الله، من قدرة باهرة على الخلق والإيجاد من عدم محض، وتأثير قدرته تعالى على إيجاد الممكنات وإعدامها، وعلمه الكاشف لخصائص الخلق.

■ **سابعًا:** اقترن الفعل (خَلَق) بسنة الزوجية[(٢)] في خصوص خلق ذرية آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [النبأ: ٨]، وقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٤٥]، ودلالة ذلك الإشارة إلى أن الخَلْق (سنة كونية) لا تتخلف

(١) خلق ذرية آدم وجه معتاد بـ(الزوجية) من ذكر وأنثى، وسيأتي الحديث عن (سنة الزوجية) بتفصيل فيما بعد، ولا يقال: ما رأينا خلق عيسى؟ لأننا نقول: ما رأينا خلق السموات أو الأرض، وما رأى أحد من البشر خلق نفسه وذاته حتى يطالب برؤية خلق غيره.

(٢) ثبت الجمع بين الفعل (خَلَق) وبين سنة الزوجية في ثمانية مواضع قرآنية هي: [النساء:١]، [الشعراء: ١٦٦]، [الروم: ٢١]، [يس: ٣٦]، [الزخرف:١٢]، [الذاريات: ٤٩]، [النجم:٤٥]، [النبأ:٨]، وكلها يؤكد على اقتران الفعل خلق بسنة الزوجية.

إلا للإعجاز إظهارًا لقدرة الله الباهرة[1].

▪ **ثامنًا:** اقترن الفعل (خَلَق) بالموت والحياة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، وخلق الله الموت[2] والحياة، وهما حالان طارئان على كل إنسان؛ لعدة دلالات منها:

١- التنبيه على الحقائق المهمة للبشر.

٢- لابتلاء البشرية بموت وحياة الراجعَيْن إلى تقدير الله تعالى.

٣- لحصول الارتباط بين الإيمان وإصلاح العمل.

▪ **تاسعًا:** من أسماء الله (**الخالق**)، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ [الحشر: ٢٤]، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله تعالى، فالخالق وصف لله تعالى، ومن أسمائه أنه (**الخلَّاق**)، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]؛ وهي صيغة مبالغة على زنة فعَّال، والمبالغة للدلالة على:

١- دقة فعل الخلق.

٢- كثرة إحداث الله تعالى للخلق.

٣- المبالغة في تعظيم الخلق وآثاره.

٤- انتفاء العبثية والفوضى.

٥- تأكيد على عظيم منة الله على المخلوق؛ لذا قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، أي خلل وتشقق وتناقض، وهذا ما لم يدّعِه أحد من البشر.

(١) فتظهر قدرة الله في خلق بعض الأشياء خارج نطاق (السنة الكونية) كخلق عيسى وهو معجزة، وكخلق آدم وحواء.. الخ

(٢) الموت: صفة وجودية خلقت ضدًّا للحياة، انظر التعريفات، للجرجاني، (ص٣٠٤)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، طبع دار الريان، بالقاهرة، بدون.

المطلب الثاني: معاني الفعل (صَوَّر) ودلالته:

أولًا: معاني الفعل (صَوَّرَ) في اللغة:

صـوَّر الله الخلـق تصويـرًا: أي أَوجَدَهم على هيئة وشـكْل مخصوص بِهـم، فصوَّر جميع الموجودات ورتبها وأعطى كل شـيء منها صورة خاصة، وهيئة مفردة تتميز بِها على اختلافها وكثرتها، والصُّوَر: جمع صورة تطلق على الشـكل والنـوع والصفة، قال الراغـب: الصورة ما ينتقش بـه الأعيان، ويتميز بهـا عـن غيره، وذلـك ضربـان: **أحدهما**: محسـوس يدركه الخاصـة والعامة كصورة الإنسان والفرس بالمعاينة، **والثاني**: معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصـورة التي اختص الإنسـان بها من العقـل والرَّوِيّة وإلى الصورتين أشـار القـرآن[1]، إذن من معاني الفعل صوَّر: **خلق على شـكل معلوم وهيئة وصورة مخصوصة وصفة محددة.**

ثانيًا: دلالات الفعل (صَوّر):

من خلال تدبر الآيات الوارد بِها الفعل (صوَّر) ومشتقاته يمكننا الوقوف على الدلالات التالية:

◆ **أولًا:** خصوص اسـتعمال الفعل (صوَّر) في خلق الإنسان فلم يرد هذا الفعل مطلقًا مع خلق الأكوان، بل اختُصَّ بخلق أعضاء الإنسان ودلالة ذلك:

١- مزيد اعتناء الله تعالى بخلق الإنسان تكريمًا له لأنه المخلوق المكرم.

٢- ضرورة شكر الإنسان ربه الخالق على خلقه له في أحسن صورة.

(١) انظر مادة (صوَّر) في: لسـان العـرب، لابن منظـور، (ص٢٥٢٣- ٢٥٢٤)، والمفردات، للراغب، (ص٢٨٩- ٢٩٠)، سـابق، والمصبـاح المنيـر، للفيومـي، (ص٢١٠)، والكليـات، للكفـوي، (ص٤٧٦)، والنهايـة، لابـن الأثيـر، (٣/ ٥٨-٦٠)، وأسـاس البلاغة، للزمخشـري، (١/ ٥٦٢- ٥٦٣)، والمعجم الوسيط، (ص٥٢٨).

◆ **ثانيًا:** تنوع القرآن بالفعل (صوَّر) في التعبير عن مرحلة التصوير والتقويم للدلالة على:

١- أن خلق الإنسان وقع في أجمل وأحسن صورة؛ لذا قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وذلك كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

٢- التفنُّن والإتقان في خلق الإنسان، ليدل على إتقان وإبداع خلق الإنسان حيث صوّره الله فأبدع تصويره.

◆ **ثالثًا:** اقترن الفعل (صوَّرَ) بالأرحام في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦]، وقال النبي ﷺ: «**بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا**»(١)، ودلالة هذا الاقتران على أمور منها:

١- أن التصوير مرحلة موازية للتكوين، ومساوقة - متزامنة - مع التخليق في الأرحام.

٢- أن التصوير تخليق لأعضاء الإنسان في الأرحام من سمع وبصر وجلد ولحم وعظام.

٣- عناية الله بالإنسان منذ صوره في الأرحام، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

٤- إسناد التصوير للملك كما في الحديث لا ينفي أن الله هو المصور؛ لأن الملك يقوم بذلك بإذن الله تعالى وتقديره أزلا لهيئة الخَلقِ، قال النووي:

(١) أخرجه مسلم كتاب القدر، باب كَيْفِيَّةِ الخلق الآدمي فِي بطن أمه وكتابة رزقه وأجله..، رقم: (٦٨٩٨)، من حديث ابن مسعود.

(للملَك تصرُّف في تصويره وخلق سمعه وبصره وجلده ولحمه وعظمه وكونه ذكـرًا أو أنثـى.. وذلك قبل نفخ الـروح، لأن نفخ الروح لا يكـون إلا بعد تمام صورتـه)[1]، ومثل هذا إسـناد الوفـاة للملك في قولـه: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمـر: ٤٢]، فالملائكة أعوان يفعلون ما يأمرهم الله به، وفي الحقيقة فإن الله يتوفى الأنفس حين موتها كذلك التصوير في الأرحام.

◆ **رابعًا:** مـن أسـماء الله تعالـى **(الـمُصَوّر)**، لقولـه: ﴿ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، ودلالة هذا على:

١- إثبات تصوير الله لخلق الإنسان ثبوتًا دائما دون انفكاك.

٢- مزيد اعتناء الله بالإنسان.

المطلب الثالث: معاني الفعل (سَوَّى) ودلالته:

أولًا: معاني الفعل (سَوَّى) في اللغة:

سوَّى الشيء تَسْوِية: قَوَّمَه وعدَّلَه وجَعَلَه سَوِيّا، أو هِي جَعلُ الشّيءِ علَى تمامِ الاسـتِعدَادِ لتَحقِيق مَا يُراد مِنه، والتَّسـوِيَة جَعلُ الشيءِ سَوَاءً إمّا في الرِّفعةِ أو فِـي الضِّعَـةِ[2]، فمعاني الفعل (سَـوَّى): (خلـق، واعتدل الخلق واسـتقام، وسلم من العيوب، والعدل والمساواة في القسمة).

ثانيًا: دلالات الفعل (سوَّى):

بتدبـر الآيات الوارد بِها الفعل (سـوَّى) ومشـتقاته يمكننا الوقوف على الدلالات التالية:

(١) (شرح صحيح مسلم)، للإمام النووي، (١٦/ ١٩٠- ١٩١)، سابق.

(٢) انظـر مادة (سَـوَّى) في: المفـردات، للراغـب، (ص٢٥١- ٢٥٢)، ولسـان العرب، لابـن منظور، (ص٢١٦٠- ٢١٦)، والمصبـاح المنيـر، للفيومـي، (ص١٧٩)، ومختـار الصحـاح، لأبـي بكـر الـرازي، (ص٣٢٣- ٣٢٤)، طبـع دار الحديـث بالقاهرة، بـدون، ومعجم ألفاظ القـرآن الكريم، (١/ ٦١١- ٦١٢)، طبـع مجمـع اللغة العربية، ١٩٨٩، والكليـات، للكفوي، (ص٤٤٢- ٤٤٣)، وأساس البلاغة، (١/ ٤٨٥)، والمعجم الوسيط، (٤٦٦)، سابق.

☜ أولًا: اقتران الفعل (سوَّى) بفعل آخر ودلالاته:

الأول: اقتران فعل التسوية في القرآن بالفعل (**نفخ**)، في مسألة خلق آدم في قولـه تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩]، و[ص: ٧٢]، وكلا الموضعين يشـيران لتسوية آدم عندما باشرت قدرة الله فعل التسوية فسَوَّاه وكمَّله وهيَّأه، قوله: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ [السجدة: ٩]، أي قوَّمَه، وأتمَّ له الاستعداد لما يراد منه، ودلالة هذا على أمرين:

١- كمال خلق آدم بتسـوية جسـده الطيني ونفخه بالروح العلوي فبهما كمال الخلق.

٢- قيام خلق الإنسان على جسد طيني، وروح من أمر الله.

٣- تنبيه الإنسان لاحترام الجسد والروح فلا ينتهك حرمتهما.

الثاني: اقتران فِعْل التسـوية بالفعل (خَلَق)، للذرية في قوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١، ٢]، وقوله: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [القيامة: ٣٨]، ودلالة اقتران فعل التسوية بالفعل خلق:

١- تكامل أفعال الخلْق لأن الله خلق فسوَّى خلْقَه.

٢- وقوع فعل التسوية عقب التخليق؛ فالفاء تدل على التعقيب.

٣- بيان بداية تسوية خلق الإنسان من الأرحام.

٤- مباشـرة بيـان اكتمـال المخلـوق في تصويـر حواسـه، وخلقـه في أحسن تقويم.

الثالث: اقتران فعل التسوية في القرآن بالفعل (**عدل**)، في قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار: ٧]، أي جعل خِلقَتَك من عدم مستوية الخلق على مقتضى

الحكمة، وضبط صورتك إنسانًا مستقِلًّا بأمرك، وفي التفسير: **(تعداد الصلات وإن كان بعضها قد يغني عن ذكر البعض فإن التسوية حالة من حالات الخلق، وقد يغني ذكرها عن ذكر الخلق كقوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾**[البقرة: ٢٩][(١)]**، ولكن قصد إظهار مراتب النعمة، وهذا من الإطناب المقصود به التذكير بكل صلة والتوقف عليها بخصوصها، ومن مقتضيات الإطناب التوبيخ)**[(٢)]، ودلالة التسوية:

١- التعدد والإطناب للاعتناء بخلق الإنسان فليست كعين دلالة الفعل (خلق) أو الفعل (عَدَلَ)؛ لأن العطف يقتضي المغايرة.

٢- بيان موضع الامتنان الرباني؛ لذلك كان رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**..إِذَا نَظَرَ فِي المِرْآةِ قَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي حَسَّنَ خَلْقِي وَخُلُقِي، وَزَانَ مِنِّي مَا شَانَ مِنْ غَيْرِي**»[(٣)]، مما يوجب حمْدَ اللهِ تعالى.

☜ ثانيًا: انفراد الفعل (سوَّى) ودلالاته:

الأول: انفرد فعل التسوية في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧]، وهو قَسَمٌ بالنفس، وسواها: أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتِها، وفي التفسير:

---

(١) في قول العلامة ابن عاشور: (وقد يغني ذكرها عن ذكر الخلق) نظر؛ لأن الأصل في أفعال الخلق الفعل (خَلَقَ)، ويدل كل فعل من أفعال الخلق على دلالة الفعل (خلق) لأنه أصل الباب ثم تضاف دلالات جديدة في كل فعل مستمدة من نصِّ القرآن؛ لذلك فإن المثال الوارد عند الإمام الطاهر دال على الخلق والإيجاد من عدم إضافة لتسوية وإحكام الخلق، وجزى الله خيرًا ابن عاشور على ما قدَّم.

(٢) (التحرير والتنوير)، للإمام محمد الطاهر بن عاشور، (٣٠/ ١٧٥)، مرجع سابق.

(٣) أخرجه الإمام البيهقي في (شعب الإيمان)، باب في تعديد نعم الله، رقم: (٤٢٧٣)، وابن حجر في (المطالب العالية)، كتاب الأدب، باب النظر في المرآة وأدب الكحل، رقم: (٢٦٥٣)، واللفظ لهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وحديث النظر في المرآة ضعيف لكن صحَّ هذا الدعاء عن النبي ﷺ مطلقًا دون تقييد بالنظر في المرآة: فروى أحمد (٢٤٣٩٢)، وأبو يعلى (٥٠٧٥)، والطيالسي (٣٧٢)، والبيهقي في الشعب (٨١٨٣) عَنِ عائشة قالت: كان رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**اللهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَأَحْسِنْ خُلُقِي**»، وصحَّحه محققو المسند، والعبرة من أصل الحديث الثناء على الخالق الأعلى -سبحانه- إذ خلق فسوَّى.

(قيل: تسويتها، فما: بمعنى المصدر، وقيل: المعنى ومن سوَّاها، وهو الله ﷻ، وفي النَّفسِ قولان: أحدهما آدم، والثاني: كل نفسٍ منفوسة[1]، وسوَّى: بمعنى هيَّأ، وقال مجاهد: سوَّاها: خلقها وعدلها)[2]، ودلالة إفراد تسوية على:

١- إثبات فعل تسوية الإنسان لله تعالى دون سواه.

٢- الاعتناء بخلْقِ الإنسان المكرم.

الثاني: انفرد فعل التسوية في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤]، وبنان الإنسان أنامل أصابعه من جسمه، وفي السنة، قوله: «**ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَسَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ؟ فَيَجْعَلُهُ اللهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ**»[3]، أي هل هو كامل الأعضاء أو ناقصها، ودلالة انفراد فعل التسوية على أمور:

١- ارتباط فعل التسوية بخلق أعضاء الإنسان.

٢- تسوية الخلْق، وكماله.

٣- مساوقة فعل التسوية للتخليق في الأرحام.

٤- تسوية أعضاء الإنسان وإيجادها من نطفة إذ لم يكن شيئًا مذكورًا.

الثالث: انفرد فعل التسوية في قوله: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، ودلالته على:

١- تسوية الله الإنسان في نموه حتى بلوغ أشده واكتمال عقله.

---

(١) النفس: لها معانٍ كثيرة وفيها أقوال من أرجحها أن النفس هي الروح عند جمهور العلماء، انظر: (الروح)، لابن قيم الجوزية، (ص٢٢٤-٢٢٦)، تحقيق: كمال علي الجمل، طبع: مكتبة الإيمان، بدون طبعة، وتاريخ.

(٢) انظر: (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، (٢٠/ ٣٢١) مرجع سابق، و(إرشاد العقل السليم)، لأبي السعود، (٩/ ١٦٤)، سابق.

(٣) بعض حديث أخرجه الإمام مسلم كتاب القدر باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم: (٦٨٩٨)، من حديث أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه.

٢- استمرار فعل التسوية للإنسان قبل الولادة وبعدها، وتقلّبه في مراحل النمو المختلفة على سبيل التدرّج من رضيع لصبي فغلام فشاب فرجل سوي مكتمل العقل والبدن.

٣- الإشارة لارتباط فعل التسوية بعملية النمو الجسمي والعقلي وهو محل عناية علماء التربية والتغذية والتنمية.

وأما دلالة اختصاص التسوية للإنسان المكلف فهي:

١- ظهور موضع الامتنان.

٢- وجوب الشكرِ عليه، وقد صرَّح ربنا بهذا فقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فهي مترتبة على تمام التسوية في كمال الرجولة عند سن الأربعين، مما يوجب الشكر لظهور امتنان الله تعالى على الإنسان.

الرابع: انفرد فعلُ التسوية في القرآن في مقام بيان اختصاص السماء بتسوية الخلْق، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٩]. ومن دلالات إفراد السماء بفعل التسوية:

١- الإشارة لإحكام خلق السموات بلا تفاوت، فقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ [الملك: ٣]؛ ليدل على كمال خلق السموات في تسويتها بلا شقوق.

٢- إظهار التحدِّي بخلق السماء، إذ أمر بتكرار البصر إليها، فقال تعالى: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [الملك: ٣، ٤]؛ للدلالة على كمال الخلق والتكوين، كأنه قال: أيها الشاك كرِّر بصرك مرَّات إلى السماء فلن تجد شقوقًا وصدوعًا، أو نقصًا، أو خللًا واقعًا.

كما ورد في خلق السماء ما يناسب التسوية، فقال: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٨]، (رفع سمكها) بيان للبناء أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض، وذهابها إلى سمت العلو مديدًا رفيعًا مسيرة خمسمائة عام، و(سواها) عدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت، ولا فطور، أو تممها بما علم[١].

وأما انتفاء ورود فعل التسوية مع الأرض[٢] مع أن السنن المتبع في القرآن اقتران خلق السموات بالأرض فذلك لسببين:

١- لأن بالأرض جبال مرتفعة وسهول منخفضة وهما وصفان يتناقضان مع فعل التسوية والاعتدال.

٢- لكون الأرض مدحوة ليست مستوية.

وفي الجملة فإن ظهور فعل التسوية في خلق الأكوان والإنسان على أبعاد ثلاثة:

البعد الأول: (التسوية الكلية) في عموم الخلق سواء أكان سماءً أو نفسًا إنسانية، لدلالة إكمال وإتمام وإحكام الخلق دون نقصان.

البعد الثاني: (التسوية الجزئية) في أجزاء وأعضاء الخلق سواء أكان بتزيين السماء بنجوم، أو بتحسين تقويم الإنسان عند الخلق في الأرحام لدلالة العناية بكل تفاصيل فعل الخلق.

البعد الثالث: (خصوصية استمرار فعل التسوية للإنسان) ودلالة هذه الخصوصية للإنسان التكريم لمَا حُمِّل من أمانة وتكليف وعقل دون الأكوان[٣].

---

(١) انظر: (إرشاد العقل السليم)، لأبي السعود العمادي، (٩/ ١٠١)، مرجع سابق.

(٢) مع الجمع بين السماء والأرض بالفعل خلق قد أفرد السماء بفعل التسوية، وهذا يدل على أن الفعل خلق أصل الباب.

(٣) أما الأكوان من سماء وأرض فهما مجبوران على طاعة الله، قال تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

المطلب الرابع: معاني الفعل (أَنْشَأَ) ودلالته:

أولًا: معاني الفعل (أنشأ) في اللغة:

نَشَأَ يَنشَأُ نَشْئًا ونَشْأةً أوجده وأحياه، وأنشأ الله الخلق إنشاء، أي: ابتدأ خلقهم، وأنشأته: أحدثته وربيته، والإنشاء: الإيجاد والإحداث والتربية، وأنشأ يقول: جعل وابتدأ، ونَشَأ: شبَّ، ونمَا، ورَبَا، وتنشَّأ لحاجتِه: نَهَض إليها، ومشى[1]. من معاني الفعل أنشأ: (**خلَقَ وأَوْجَد من عدم، وصوَّرَ، ونَمَا وزَاد ونَهضَ**).

ثانيًا: دلالات الفعل (أنشأ):

من خلال تدبر الآيات الوارد بِها الفعل (أنشأ) ومشتقاته يمكننا الوقوف على الدلالات الآتية:

أولًا: ورود فعل الإنشاء مع الأكوان في قوله: ﴿ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة: ٧٢]؛ دلالة على:

١- ظهور دعوى التحدّي بِهذا الفعل.

٢- تعدد دلالات هذا الفعل على الإيجاد من العدم، وإحكام الخلق وإتقانه، وتفصيل خلقِه.

ثانيًا: ورود الفعل (**أنشأ**) مع الإنسان، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، للدلالة على:

---

(١) انظر مادة (نشأ) في: لسان العرب، لابن منظور، (ص٤٤١٨- ٤٤٢٠)، والمصباح المنير، للفيومي، (ص٣٦٠)، والكليات، للكفوي، (ص١٦٧)، والمفردات، (ص٤٩٣- ٤٩٤)، و(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، للفيروز آبادي، (٣/ ٢٨٥- ٢٨٦)، تحقيق: محمد علي النجار، طبع: الأوقاف المصرية، سنة ٢٠٠٥، والنهاية، لابن الأثير، (٥/ ٥١- ٥٢)، والمعجم الوسيط، (ص٩٢٠).

١- الإعجاز في خلق الإنسان لاختصاص خطاب فعل الإنشاء بالبشر العقلاء.

٢- الدِّقة في تفصيل خَلْق الأعضاء وإنشائها.

٣- مساوقة الإنشاء لمرحلة التخليق المتصل حتى النهاية قبيل ميلاد الإنسان الدال على اكتمال الخلْقِ وإجادته؛ لأن بعده خروج الإنسان للحياة.

٤- ظهور المنة الربانية بإنشاء حواس الإنسان سليمة مما يوجب الشكر لله.

ثالثًا: ورد الفعل (أنشأ) للدلالة على نشأتين اثنتين للإنسان دلَّ عليهما القرآن الكريم، هما:

النشأة الأولى: عند خلق الإنسان في بطن أمه، نص عليها ربنا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢]، وهي محل الخلق من عدم، والإبداع، والتعبير بقوله (عَلِمْتُمُ) يراد بالعلم الدلالة على اليقين والقطع أي: تيقنتم بالنشأة الأولى، ويؤكد ذلك اعتراف مشركي قريش بأن الله هو الخالق، في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

ودلالة التعبير بقوله (عَلِمْتُمُ) دون التعبير بـ(رأيتم) للدلالة على:

١- عدم بلوغ علم البشر عند نزول الآية مبلغ الرؤية والمشاهدة لفعل الخلق والتصوير في الأرحام بعد[1].

٢- بيان علم العرب بالخلق لقيامه على معارف عادية تقليدية.

٣- بيان استمداد العرب علمهم بالنشأة الأولى من القرآن مما سبق من آي السورة الكريمة في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٧- ٥٩].

(١) لأن إعجاز البشر عن الخلق بدا في عجز البشر عن رؤية خلق نفسه وذاته في بطن أمه، والعلم هنا كسبي قائم على الخبرة والتجربة.

٤- أو استمداد العرب علمهم بالخلق مما سَبَق نزوله من سور القرآن التي بِها آيات فيها إشارات دالة على الخلق قبل سورة الواقعة، وذلك مثلما ورد في سور: (الأعلى والشمس والقيامة والطارق ويس)، فقد أنزلت قبل الواقعة[١]، كما اشتملت هذه السور على إشارات للخلق في النشأة الأولى[٢]، مما يدل على سبق علمهم بِها.

والدلالة على النشأة الأولى من ناحيتين:

أولهما: مرجع النشأة الأولى إلى أبي البشرية آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٨]، دلالة على:

١- بيان لأول إنسان على الأرض.

٢- معرفة بداية الإنسان مما يدل على الحدوث.

ثانيهما: مرجع نشأة الإنسان إلى تراب الأرض[٣]، قال: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١]، ودلالة هذا على:

١- بيان القرآن أن أصل نشأة الإنسان التراب فهو أصل مادة الإنسان وطينته.

---

(١) وقد أفاد الإمام السيوطي ذلك، حيث ذكر أنه سبق نزول هذه السور في ترتيب نزولها على سورة الواقعة، انظر: (الإتقان في علوم القرآن)، للإمام السيوطي، (١/ ٢٥- ٢٦)، تحقيق: د. محمد أبوالفضل إبراهيم، طبع: دار التراث، بالقاهرة، بدون.

(٢) من تلك الإشارات قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [الأعلى: ٢]، وقوله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧]، وقوله: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ [القيامة: ٣٧- ٣٩]، وقوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [الطارق: ٥- ٧]، وقوله: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٩]، وكذلك في الآيات [٢٢، ٣٣، ٣٦، ٤٢، ٧١، ٨١، ٨٢]، إشارت للخلق من سورة يس.

(٣) وورد ذلك في سورة الكهف الآية (٣٧).

٢- ثنائية الدلالة على النشأة الأولى سواء من آدم المخلوق من تراب، أو من ذات التراب على سبيل الدلالة الالتزامية فكلا الأمرين سواء.

النشأة الأخرى: لما كانت النشأة الثانية تمثل عقيدة البعث، فهي نشأة الإحياء للبعث بعد الموت الذي أنشأها أول مرة؛ فدلالتها على إثبات البعث بعد الموت للحساب والجزاء، حيث يُستدَلّ على إمكان إعادة الخلق في النشأة الأخرى بوقوع بداية الخلق بالنشأة الأولى، فمن أنشأ الخلق من محض عدم قادر على إعادته بعد موته نشأة أخرى، وقد مهَّد القرآن الكريم لها بذكر النشأة الأولى، فإن جميع مواضع ذِكْر النشأة الأخرى مسبوقة بذكْر الخلق الأول في موضعين، هما:

الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٥-٤٧]، حيث جاء نصُّ القرآن على النشأة الأخرى مسبوقًا بما يدل على النشأة الأولى، ودلالة التعبير في هذا الموضع عن النشأة الأولى بالفعل (**خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ**)، و(**مِن نُّطْفَةٍ**) منها:

١- تأكيد أنها إيجاد من عدم[(١)].

٢- جمع القرآن بين النشأتين معًا لبيان أن النشأة الأولى إيجاد من عدم، والنشأة الأخرى إحياء لأجسادٍ ورِمَم.

الموضع الثاني قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۖ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠]، ودلالة هذا على:

(١) لأن أفعال الخلق دلت على أن خلق ذرية آدم على أمرين: الأول: سنة الزوجية، والثاني: الخلق من نطفة، كما سيأتي بعد.

١- النص على النشأة الأخرى ليقدِّم بين يدي النشأة الأخرى التعبير عن النشأة الأولى بقوله: ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾.

٢- استمرار تعجيز البشر لدلالة المضارع في (يُبْدِئُ) على الدوام، ودلالة المضارع في (ثُمَّ يُعِيدُهُ) على الاستقبال، فلا قدرة مطلقة للإنسان اليوم[1].

٣- بيان إتاحة المشاهدة للكشف عن بداية الخلق، لقوله: ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾.

٤- تأكيد أن النشأة الأولى خلق وتكوين وإيجاد من عدم، لقوله (بَدَأَ الخَلْقَ) بالماضي.

٥- تراخي ما بين النشأتين للعطف بينهما بحرف (ثُمَّ) مرتين من عمر مديد في الحياة الدنيا، وفي القبر، ثم النفخ في الصور لبعث العباد.

٦- بيان فاعل النشأتين فتأتي النشأة الأخرى بين يدي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأن الله بقدرته الباهرة قادر على خلق الإنسان في نشأته الأولى، وقادر على إعادته بالمقايسة.

٧- التمهيد للاستدلال على إمكانية النشأة الأخرى؛ لكونها محط الاعتقاد والإيمان بالبعث.

رابعًا: جاءت إشارة القرآن للنشأة الأخرى في قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، للدلالة على:

(١) لا قدرة مطلقة للإنسان: إثبات لقدرة ما وذلك لتطور العلم البشري في علم الجينات الوراثية، لكن علماء الأحياء ما زالوا عاجزين عن خلق وتكوين أصل مادة البشر أو نطفة إذا تمنى، وما زالت الاكتشافات العلمية تجري على ساق.

١- التذكير بإعجاز النشأة الأولى.

٢- الإشارة لطبيعة النشأة الأخرى بقوله (يُحْيِيهَا) فهي إحياء بعد موت، للـردِّ على أُبَيّ بْن خلـفٍ، فروي أنه: (أتى النبيَّ ﷺ بِعَظْمٍ حائلٍ قَدْ بَلِيَ، فقال: يـا محمد، أَتُرَى اللهُ يُحْيِي هَذَا بَعْدَ مَا قَدْ رَمَّ؟ فقـال: «نَعَمْ، وَيَبْعَثُكَ، وَيُدْخِلُكَ النَّارَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ)[١].

٣- بيان بداية النشأة الأخرى، وفصلت السنة ذلك في الحديث: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَبْلَى وَيَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»[٢]، قال النووي: (عَجْب الذَّنَب: العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، رأس العصعص، وهو أول مـا يخلق من الآدمي، ويبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه)[٣]، وفيه إثبات لموطن الإعجاز.

المطلب الخامس: معاني الفعل (فطر) ودلالاته:

❑ أولًا: معنى فطر في اللغة:

فَطَـر الشـيء يفطُـرُه فَطْـرًا فَانفَطَر وفَطَّره شـقَّه، وتفَطَّر الشّـيء تَشَـقّق،

(١) أورده الإمام الواحدي النيسـابوري في (أسـباب نزول القرآن)، (ص٣٧٩)، تحقيق: كمال بسـيوني زغلول، طبـع: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١١هـ)، والحديث مرسـل، وعزاه السـيوطي في (الـدر المنثور في التفسـير بالمأثور) إلى سـعيد بـن منصور وابن المنـذر والبيهقي في البعث، انظر: الدر المنثور، (٧/ ٧٥)، طبع: دار الفكر، بيروت، بدون.

(٢) أخرجه الإمام مسـلم كتاب الفتن وأشـراط السـاعة، باب ما بيـن النفختين، رقـم: (٧٦٠٤)، وأبو داود كتاب القدر باب في ذكر البعث والصور، رقم: (٤٧٤٥)، والنسـائي كتاب الجنائز باب أرواح المؤمنيـن رقم: (٢٠٨٩) ومالك كتاب الجنائز باب جامع الجنائز، رقم (٥٧١)، وأحمد في مسـند أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم: (٩٦٥٩)، كلهم من حديث أبي هريرة، واللفظ لأحمد.

(٣) (شرح صحيح مسلم)، للإمام النووى، (١٨/ ٩٢)، طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، سنة ١٩٩٦، وانظر: رسالة التخصص الماجستير، بعنوان: (تطور الأجنة فى الأرحام بين العلم الحديث والإسلام ودلالته الإيمانية)، للباحث عبد الخالق صلاح، (ص١١٨)، أجيزت سنة ٢٠٠٧ في قسم الثقافة الإسلامية، بكلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر الشريف.

وجمعه فُطُور، وفَطَر اللهُ الـخَلقَ يَفطُرُهم: خَلَقَهم وَبَدَأَهم، وفَطَرَه يَفْطُرُه فَطْرًا أي خَلَقه، وَأصل الفَطرِ الشّقّ، والفِطرَةُ: الابتداء والاختراع، أو هي: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به، قال أبو الهيثم[1]: الفطرة: الخلقة التي يخلق عليها المولـود في بطن أمـه، أو هي الكلمة التي يصير بها العبد مسـلمًا وهي شـهادة التوحيد[2]، إذن هناك معانٍ للفعل (فَطَرَ)، منها: (**خَلَق، وابتَدَأ الشّيءَ، وشقّ**).

❑ **ثانيا: دلالات الفعل (فطر):**

وبتدبُّـر الآيات الوارد بِهـا الفعل (فطر) ومشـتقاته يمكننا الوقوف على الدلالات التالية:

أولًا: ورود الفعل (فطر) مع الأكوان والإنسـان، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٤]، للدلالة على:

١ – قدرة الله تعالى، ودقة إبداعه في الخلق.

٢ – استعمال الفعل (فطر) مع خلق الأكوان؛ لذا استدل الخليل إبراهيم عليه السلام بـه على وجـود الله، فقـال: ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ٧٩]، بعدما نظر في ملكوت السموات والأرض.

---

(١) أبو الهيثم: (...– ٢٧٦هـ)، لم تذكر كتب التراجم اسمه، واشتهر بكنيته أبي الهيثم الرازي، كان إِمَامًا لغويًّا؛ أَدْرك الْعلمَاء وَأخذ عَنْهُم، وتصدر بِالريِّ للإفـادة، عالمًا بالعربية عذب العبارة دقيق النظر، كان حافظًـا صحيـح الأدب عالمًـا، ورعًا كثير الصلاة صاحب سـنة ولم يكن ضنينـا بعلمه وأدبه، وفي إنبـاه الرواة: توفي سـنة (٢٠٦هـ)، وفي نزهة الألباء: مات سـنة (٢٢٦ هـ)، في خلافة المعتصم بـالله، ولا يعلم من أمره غير هذا. انظر: بغية الوعاة، للسـيوطي، (٢/ ٣٢٩)، سـابق، وإنباه الرواة، للقفطـي، (٤/ ١٨٨)، طبع دار الفكر العربي بالقاهرة، سـنة ١٩٨٦، ونزهة الألباء، لابن الأنباري، (ص١١٨)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، طبع مكتبة المنار الزرقاء الأردن، ١٩٨٥.

(٢) انظر مادة (فطر) في: لسان العرب، لابن منظور، (ص٣٤٣٢)، سابق، والمصباح المنير، (ص٢٨٣)، والنهاية، لابن الأثير، (٣/ ٤٥٧)، وأساس البلاغة، للزمخشري، (١/ ٢٦٤)، والكليات، للكفوي، (ص٣٥٢)، وكشاف اصطلاحات العلوم، للتهانوي، (٢/ ١٢٧٨)، تحقيق: د. علي دحروج، طبع: مكتبة لبنان ناشرون، سنة ١٩٩٦، والمعجم الوسيط، (ص٢٥٢)، سابق.

٣- استعمال هذا الفعل مع خلق الإنسان؛ لذا استدل مؤمن آل يس[١]، بهذا الفعل على الإيمان قال تعالى: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس: ٢٢]. وكلما عم استعمال الفعل كانت دلالته على الإيمان بالله أكثر وأغزر وأوسع، وكانت فوائده أعم وأنفع.

٤- ثنائية دلالة الفعل (فَطَرَ) إما على ابتداء الخلق بالشق الذي يقوم به الحيوان المنوي من الذكر حينما يبتدئ بشق جدار الرحم لتلقيح البويضة وتكوين النطفة[٢]؛ ليدل على مرحلة سابقة على التخليق والتسوية، وإما على ابتداء شق الرَّحم للخروج للحياة؛ ليدل على مرحلة نهاية التخليق والتسوية.

إن دلالة اللغة تشهد لكلا المعنيين فمعنى (فطر) اللغوي (فَلَق وشقَّ)، ودلالة هذا المعنى إما على مرحلة سابقة قبل التخليق، ثم يتبعها تصوير وتسوية في الأرحام، أو دلالته على ميلاد الإنسان وخروجه للحياة، فيدل الفعل (فطر) على انتهاء عملية الخلق، ففَطَر أي: أبرز المخلوق وشقَّه بإخراجه للوجود من العدم، ذلك بعد تكوين الخلق والتسوية والتصوير، ويفهم منه شق الرحم عند الميلاد، والأولى عندي المعنى الثانِي حيث تجتمع دلالة فطر اللغوية، كما دلَّ عليه النصُّ السالف على لسان مؤمن آل يس، فضلًا عن ذلك دلالة الواقع، والمُشاهَد.

ثانيًا: الفعل (فطر) يدل على أن كل مولود من بني آدم يكون على الفطرة

(١) مؤمن آل يس: هو حبيب النجار وهو رجل صالح سكن قرية من بلاد الشام، قيل هي أنطاكيا، ونزلت آيات تخبرعنه من سورة يس، انظر: (تفسير القرآن العظيم)، لابن كثير، (٦/ ٢٨٦)، طبع: مكتبة الصفا، القاهرة، الأولى، سنة ٢٠٠٤.

(٢) انظر هذا المعنى في كتاب: (خلق الإنسان بين الطب والقرآن)، د. محمد علي البار، (ص١٩٥)، مرجع سابق.

وهي الإسلام[1] أي ولد الإنسان سوي الدين كما أنه سوي البنية والخِلْقة، وفي السنة شهادة مؤكدة بالقسَم يقول النبي: «..وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ نَسَمَةٍ تُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ، حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُهَا»[2].

ثالثًا: من أوصاف الله -تعالى- (فاطر)، قال تعالى: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠١][3]، وقال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]، لدلالته على:

١- الخلق على غير مثال سابق، قال الكفوي[4]: (كل شيء في القرآن (فاطر)، فهو بمعنى خالق)[5].

٢- إسناد الخلق إلى الله تعالى دون سواه.

٣- إيجاب الحمد لله.

المطلب السادس: معاني الفعل (ذرأ) ودلالاته:

أولًا: معنى (ذرأ) في اللغة:

ذَرَأَ اللهُ الخلْقَ ذَرْءًا أي خَلَقَكُم وبثَّكم فِيهَا بِالتناسل، ويذرؤكم أي

(١) وهناك أقوال عديدة في معنى الفطرة، أرجحها أنها هي الإسلام، بترجيح الإمام أحمد والبخاري، انظر: (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، لابن حجر، (٤/ ٥٢٢- ٥٢٥)، سابق، وانظر: (شرح صحيح مسلم)، للإمام النووي، (١٦/ ٢٠٨)، سابق.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث الأسود بن سريع، رقم: (١٥٥٨٨)، قال المحقق: (رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أن الحسن -وهو البصري- لم يسمع من الأسود بن سريع فيما ذكره علي ابن المديني في (العلل) (ص٥٩)، فقد سئل عن هذا الحديث فقال: إسناده منقطع.. والحسن عندنا لم يسمع من الأسود؛ لأن الأسود خرج من البصرة أيام علي، وكان الحسن بالمدينة، قلنا -المحقق-: وقد تابعه على ذلك البزار كما في (نصب الراية) (١/ ٩٠)، وابن أبي حاتم في المراسيل). انظر: مسند أحمد، (٢٤/ ٣٥٤- ٣٥٧) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، طبع: مؤسسة الرسالة، الأولى سنة ٢٠٠١.

(٣) وورد هذا الوصف كذلك في سورة الشورى الآية [١١].

(٤) أبو البقاء الكفوي: (....- ١٠٩٤هـ) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكفوي أبو البقاء، كان من قضاة الأحناف تولى القضاء بكفه بتركيا، وبالقدس وببغداد، وعاد لاستنبول فتوفي بها، له كتاب الكليات، انظر: الأعلام، للزركلي، (٢/ ٣٨)، مرجع سابق.

(٥) انظر: (الكليات)، لأبي البقاء الكفوي، (ص٥٧٤)، سابق.

يكثِّركم بالخلق، بِجَعلِه مِنكم ومِن الأنعام أزواجًا، ومنه الذُّرِّيّةُ: مِن ذَرَأَ اللهُ الخَلقَ، والذرية قيل: نَسلُ الثقلَين، وقيل: وَلدُ الرجل، وقيل: من الأضداد تطلق على الآباء والأبناء، وقيل: الذرية تتناول أولاد البنات؛ لأن عيسى من ذُرِّيّةِ نوح، قال ابن الأثير[1]: (وكأنّ الذّرْأ مختصٌّ بخَلقِ الذُّرِّيّة)، والذُّرِّيّة تكون وَاحدًا وجَمعًا، وقيل جمعها ذراري، والذَّرَأُ بالتّحريكِ الشّيبُ في مَقدَمِ الرأس[2]. فمن معاني (ذَرَأَ): (**خَلَق، وكثَّر النَّسْلَ**).

ثانيا: الدلالات الإيمانية للفعل (ذرأ):

من خلال تدبر الآيات الوارد بِها الفعل (ذرأ) ومشتقاته يمكننا الوقوف على الدلالات التالية:

أولًا: ورد الفعل (ذَرَأَ)، في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٩]، أي: خلقكم فيها، للدلالة على آخر مرحلة الخلْق، فقوله ﴿ ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ نص يشير إلى مرحلة تالية للتخليق والتصوير في الأرحام.

ثانيًا: اختصاص الفعل (ذرأ) بخلق ذريَّة آدم، والذرية[3] هي النَّسل وجمعها ذراري، فقال: ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ٣٤]، ودلالته على:

---

(١) ابن الأثير: (٥٥٥- ٦٣٠هـ) علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الجزري الشيباني، الإمام العلامة المحدث الأديب النسابة، ولد بجزيرة ابن عمر وسكن الموصل وتجول في البلدان، وعاد للموصل وتوفي بها، منزله كان مأوى لطلبة العلم، له الكامل في التاريخ، والنهاية في غريب الحديث والأثر، انظر: سير أعلام النبلاء، (٢٢/ ٣٥٣- ٣٥٦)، سابق، والأعلام، للزركلي، (٤/ ٣٣١).

(٢) انظر مادة (ذرأ) في: لسان العرب، لابن منظور، (ص١٤٩١- ١٤٩٢)، والمصباح المنير، للفيومي، (ص١٢٦)، والكليات، للكفوي، (ص٣٩٤)، والنهاية، لابن الأثير، (٢/ ١٥٦)، وأساس البلاغة، للزمخشري، (١/ ٣١٠).

(٣) ووردت مفردة (الذرية) في القرآن إحدى عشر مرة، بغير وصف، أو إضافة لضمير، كقوله: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: ٣]، وقوله: ﴿ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، ووردت بوصف كقوله: ﴿ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران: ٣٨]، ووردت مضافة للضمير المتصل في: (ذريتنا، وذريته، وذريتها، وذريتهم، وذريتهما، وذريتي، وذرياتنا، وذرياتهم).

١- ارتباط خلق الذرية بالتناسل والبث من الآباء، والآباء من الأجداد.. وهكذا، قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: ٣]، لفناء البشرية بالطوفان ثم تجددت بتناسل من كان مع نوح في السفينة.

٢- مخاطبة العقلاء والمكلفين.

ثالثًا: ورد الفعل (ذرأ) في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١١]، أي يكثّركم، دلالته على:

١- الاختصاص بمخاطبة الآباء حينما ينجبون الذرية فمن الذي أوجد هذه الذرية، وكثَّرها بالبث، والتناسل.

٢- بلوغ العظة من الآباء والذرية موضعها.

٣- ظهور جلال المنة الربانية على البشر بخلقهم ثم خلق ذريتهم.

المطلب السابع: معاني الفعل (برأ) ودلالاته:

◈ **أولًا: معنى (برأ) في اللغة:**

قال ابن سيده: بَرَأَ اللهُ الخلْقَ يَبْرؤُهُم بَرْءًا وبُرُوءًا، وبَرِئَ أي تَخَلّص وتنَزّه وتبَاعَدَ، ومن أسماء الله تعالى (البارئ)، وَتَبرَّأَ أي تخلَّص وتبَاعَدَ، والبَرَاء يطلق على الواحد والجمع والمؤنث، وقال ابن منظور[(١)]: لهذه اللفظة (**بَرَأَ**) من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات، وقلَّما تستعمل في غير الحيوان، يقال: (**برَأَ اللهُ النَّسَمَةَ**[(٢)]، **وخَلَقَ السمَواتِ والأَرضَ**)،

(١) ابن منظور: (٦٣٠- ٧١١هـ) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، الإمام اللغوي الحجة، ولد بمصر، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، وولي القضاء في طرابلس، وعاد لمصر فتوفي بها، وعمي في آخر عمره، كان مغرى باختصار كتب الأدب، صاحب لسان العرب جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصَّحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية، انظر: بغية الوعاة، للسيوطي، (١/ ٢٤٨)، سابق، والأعلام، للزركلي، (٧/ ١٠٨)، سابق.

(٢) النَّسَمَةُ: هي الروح لكل دابة على الأرض من حيوان وإنسان وطير.. إلخ

قال الراغب: أَصل البُرْء خُلُوصُ الشيء عَن غيره، إما على سبيل التقصِّي، ومنه (بَرِئَ المريض) أي تخلَّص وسَلِمَ، ومنه برئ صاحبُ الدَّينِ مِن دَينِه، والبائع من عيوب بيعه أي تخلَّص ممّا به، ومنه استبراء الرَّحم والاستبراء من البول، التخلُّص والتنزّه، وإما على سبيل الإنشاء كقولهم (بَرَأَ اللهُ الخلْقَ)[1]، إذن معاني (برأ): (**الخَلقُ من تراب، والتَّخَلُّص والتبَاعُد والتّنزُّه**).

◈ **ثانيا: الدلالات الإيمانية للفعل (برأ):**

إن تدبر الآيات الواردِ بها الفعل (برأ) ومشتقاته أفرز عدة دلالات منها ما يلي:

أولًا: دلالة الفعل (بَرَأَ) على أصل الخلق من تراب ورد في قوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [فاطر: ١١]، وفي السنة: «**النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ**»[2]، والدلالة في محل اللفظ على:

١- أصل مادة الإنسان الأولى هي التراب، ومبروءة مخلوقة مخلَّصة من تراب.

٢- لبيان تخلص البرية من أصلاب الآباء لأرحام الأمهات، وفي نُطَفٍ أصل تغذيتها -نباتية وحيوانية- من تراب، وهذا أثبته العلم الحديث، ففيه إشارة إلى أن البشرية كلها برأها وخلَّصَها الله من التراب، وتدل اللغة على ذلك فإن البَرِيّة سمّيت بَرِيّة لكونها مَبْرِيَّةً من البَرَى وهو التراب، أو أن نسبة البشرية لآدم المخلوق من تراب، وكلا المعنيين صحيح.

---

(١) انظر مادة (برأ) في: لسان العرب، لابن منظور، (ص٢٣٩- ٢٤١)، والمصباح المنير، للفيومي، (ص٣٣)، والمفردات، للراغب، (ص٤٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (١/ ١١١)، والكليات، للكفوي، (ص١٩٥)، والمعجم الوسيط، (ص٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي كتاب المناقب عن رسول الله، باب في فضل الشام واليمن، رقم: (٤٣٣٦)، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وأحمد في مسنده رقم: (١٠٩٣٢)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للترمذي.

٣- الإشارة لما في خلق الإنسان من الخلوص والتباعد عن رحم أمه عظة واعتبارا.

ثانيًا: وردت تسمية الله بـ(البارئ)، قال تعالى: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وقوله: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، للدلالة على:

١- البارئ باعد بين الحمل عن أمه بعدتمام الحمل.

٢- دل اقتران الاسمين (**الخَالِقُ البَارِئُ**) لله على تمام الخلق بالبراءة من العيوب الخلقية.

٣- لبيان أصل خلق الإنسان المستخلص من التراب.

ثالثًا: ورود (البَرِيّة) وهي الخَلْق وجمعها برايا، مرتين في القرآن مضافة، في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]، وإضافة البرية للشر مرة وللخير أخرى للدلالة على:

١- تسجيل عاقبة كل البرية؛ لأن الله خلق البشر فريقَيْن، قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

٢- سبق تقدير الله عندما برأ الخلْق من أهل الخير والجنة، أو أهل الشر والنار.

٣- على الإنسان العمل، فكل ميسَّر لِمَا خُلِقَ لَه.

وفي الجملة: كثرت دلالات أفعال الخلق والإيجاد، ومن أعظم دلالتها أن جميع ذرية آدم بلا استثناء قد مرُّوا بمرحلة الخلق، والتصوير، والتسوية، والإنشاء بيد الله تعالى، وقدرته -سبحانه- بدلالة الفعل (بَرَأَ) إذ خلق الله (البَرِيّة) -وهي البشرية- بدلالة الفعل (ذرأ)؛ إذ أخرج الله (الذريَّة) من عدم، وبدلالة الفعل (فطر)، إذ سوى الله (فطرة الإنسان)، فآمن أهل التوحيد

والإيمـان بذلـك بينما أنكر المنكـرون، ولا يمكن لأحد -مهمـا علا قدرُه أو فَـاض علمُه - أن ينكر ذلك؛ لأنه لم يقف على خلق نفسـه وقتما كان نطفة لا حول لها ولا قوة.

وبعـد.. فقد بينـت دلالات أفعـال الخلق السـبعة، فكيف نقـوم بتقييم نظريـات الإلحاد من خـلال تدبر أفعال الخلق؟ وكيف نـردّ على أهل الإنكار حتـى الإقرار بأن الله مالك القُوَى والقُدَر هو بارئ النِّسَـم وخالقها من محض العدم؟ هذا ما سوف أتناوله في المبحث التالي.

المبحث الرابع

تقييم نظريات الإلحاد بأفعال الخلق

من الممكن اعتبار أفعال الخلق معيارًا لتقييم نظريات الإلحاد، لصدقها وآثارها الإيجابية المترتبة على معرفتها، ويظهر ذلك في مطلبين، كما يلي:

المطلب الأول: نظرية التطور في ميزان (أفعال الخلق):

من خلال تدبر (أفعال الخلق) تتبين حقيقة نظرية التطور، وتقييمها بميزان أفعال الخلق، حيث تقوم هذه النظرية على أن جميع الكائنات الحية من أصل واحد فأشكال الحياة المختلفة تعود لأصل واحد، ونشأت الكائنات الحيّة متنوعة بفعل التعديل، والتطور على السلالات الناشئة منه، إلى جانب عملية الانتخاب الطبيعي، وأن الحياة الأولى وجدت مصادفة، وأنها بدأت من خلايا حيَّة تكونت صدفة[1]، ومشكلة نظرية التطور تكمن في عجزها عن الوقوف على نقطة الانتقال أو التحوُّل من القرد إلى إنسان ناطق، فلم تقف على ذلك بالمرة، ويمكن نقد تلك النظرية من خلال النظر في دلالات أفعال الخلق في القرآن ما يلي:

أولًا: اصطدام نظرية التطور وتعارضها مع حقيقة عملية الخلْق، ولقد دلَّ القرآن على عموم عملية الخلق بـ(سنة الزوجية)، وهي من سنن الله الكونية[2]

(١) ولتفصيل القول في نظرية التطور انظر: (أصل الأنواع)، تشارلز داروين، ترجمة: مجدي محمود المليجي، الباب الرابع، الانتقاء الطبيعي، (ص١٥٩ – ٢٢٧)، طبع: المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، الأولى، سنة ٢٠٠٤، وانظر: (دائرة معارف القرن العشرين)، محمد فريد وجدي، (٤/ ٢٩– ٣٦)، طبع: دار المعرفة بيروت لبنان، الثالثة، سنة ١٩٧١، وانظر: (الإسلام ونظرية داروين)، محمد أحمد باشميل، (ص١٩– ٣٢)، بدون طبع وتاريخ.

(٢) سنة الزوجية: تعتبر سنة عامة من سنن الله الكونية التي عليها قام التناسل بين جميع الخلق من إنسان وحيوان ونبات وشجر، وقد أشار إليها القرآن في عمومها لجميع الخلق الكائنات الحية،

قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩]، ارتباط عملية الزوجية والخلق منهما -وهي سنة كونية- حيث تقوم على تناسل جميع الخلق عليها، ويندرج تحت هذا العموم تناسل ذرية آدم.

ثانيًا: تصطدم نظرية التطور مع ظهور تحدي القرآن البشرية بخلق وإنشاء من عدم، كقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطور: ٣٥]، كما ظهر التحدي بسؤال في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩]، وعلى من ادعى غير ذلك من القائلين بنظرية التطور أن يضع خطة للخلق على غير مثال سابق، وذلك من الاستحالة بمكان؛ لإثبات عجز البشر كما سبق بيانه[1]، من هذا المنطلق لا نقبل نظرية التطور.

ثالثًا: وضوح خطاب القرآن مبينًا استقلال خلق كل نوع من الكائنات الحية، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ومعنى هذا أن الكلاب أمة، والقردة أمة، والخنازير أمة، وكل نوع من الطير أمة مستقلة في خلقها عن الأخرى، وعلى من ادعى غير ذلك من القائلين بنظرية التطور أن يقدِّم الدليل على نقيضه، ودونه خرط القتاد.

رابعًا: بيان أجوبة القرآن عن أسئلة الوجود، ومنها: لماذا خلق الله الخلق؟ ومتى يكون؟ وكيف؟ وسبب الخلق وعلته؟ وآليته؟ واتضحت الأجوبة من خلال آيات الكتاب الكريم، حيث بيَّن أن خلق البشر كان في قسمةٍ رُباعية **الأول**: خلق آدم دون ذكر وأنثى، **الثاني**: خلق حواء من ذكر دون أنثى، **الثالث**: خلق عيسى من أنثى دون ذكر، **الرابع**: خلق ذرية آدم من ذكر وأنثى وفق سنة

وفي خصوصها لخلق ذرية آدم، انظر: (إعجاز القرآن والسنة النبوية)، د. أحمد مصطفى متولي، (ص٣١١)، طبع: دار ابن الجوزي، بالقاهرة، الأولى سنة ٢٠٠٥.

(١) وقد سبق بيان التحدي بأفعال الخلق والإنشاء بشواهده، وإثبات عجز البشرية.

الزوجية[1]، هذا التنوع في الخلق دال على طلاقة قدرة الله تعالى.

خامسًا: النوع الرابع من القسمة الرباعية لخلق البشر على الأخص هي أقرب الأنواع الأربعة للإمكان لارتباط خلق الذرية فيه بأمرين محل اتفاق بين العقلاء:

الأمر الأول: ارتباط خلق الذرية بمادة واحدة هي (النطفة)[2]، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥، ٤٦]، وفي هذا بيان للسؤال عن السبب الحقيقي الفاعل في خلق الإنسان بإذن الله وتقديره، والكلام يطول حول نطفة الأمشاج، والصحيح أنها سبب تكوين الجنين، فهي أخلاط من ماء الزوجين الذكر والأنثى. وقد فصَّل القرآن الكريم زمن التخليق، أقله ستة أشهر والأشهَر في أكثره (تسعة أشهُر)، كما فصَّل القرآن مراحل الخلق، وكيفيته تفصيلًا واضحًا فِي سورتَي المؤمنون، والحج.

الأمر الثاني: ارتباط خلق الذرية بـ(سنة الزوجية)[3]، التي دلَّ عليها خصوص الفعل (خلق) حيث ثبتت صلة الزوجية بخلق الذرية في ثلاثة أفعال

(١) هذه الأنواع الأربعة محل إجماع العلماء كلها عدا (خلق حواء) النوع الثاني، فهو محل اتفاق المفسرين، انظر: (غرائب التفسير وعجائب التأويل)، للكرماني، (١/ ٢٧٩)، نشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، بدون، و(أنوار التنزيل)، للبيضاوي، (١/ ١٩٩)، سابق، وانظر: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، للشوكاني، (١/ ٦٧٤، ٦٨١)، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، طبع دار الوفاء بالمنصورة، الثانية، ١٩٩٧، وانظر (تفسير الخواطر)، للشعراوي، (٤/ ١٩٨٦- ١٩٨٧)، سابق، فهل خلق حواء كخلق آدم فتكون (من) في قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، بيانية، أو تبعيضة فتكون حواء خلقت من ضلع آدم؟؟

(٢) انظر: (خلق الإنسان بين الطب والقرآن)، د. محمد علي البار، (ص١٩٥)، مرجع سابق، وانظر: (من علم الطب القرآني- الثوابت العلمية في القرآن الكريم)، د. عدنان الشريف، (ص٣٣)، سابق.

(٣) تم خرق (سنة الزوجية) في خلق الإنسان ثلاث مرات: الأولى: في خلق الله تعالى أبي البشرية آدم من تراب، الثانية: في خلق زوجه حواء فخلقها الله من ضلع آدم، أو كما خلق آدم، الثالثة: كذلك تم خرقها في خلق نبي الله عيسى فخلقه من أنثى دون ذكر، لتكون في أحوال الخلْق الثلاثة معجزة خارقة من المعجزات؛ لأنها خرقت سنة كونية، وعادة الخلق المتبعة.

للخلق في القرآن هي: (خَلَق، وجَعَل، وأَخْرَجَ)[1]؛ ليسد الثغرة ويكمل الحلقة التي عجزت نظرية التطور عن بيانها والجواب عليها؛ فإن مما يدفع نظرية التطور من أساسها، أن الإنسان أصله إنسان، فلا يتوالد من غير نوعِه، فبدأ التناسل بالزوجية بين آدم وحواء أبوي البشرية، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥][2]؛ لندرك قدم سنة الزوجية من لدن أبي البشرية الأول آدم عليه السلام في خلق ذريته، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [فاطر: ١١]، وقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦]، وقال: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ [القيامة: ٣٩].

ومن الجدير بالذكر أنه قد لازم (سنة الزوجية) عند خلق الذرية، وسايرها (سنة تشريعية)؛ لضبط العلاقة بين الزوجين الذكر والأنثى، فكانت (شرعة الزواج) بين الذكر والأنثى، وهي شرعة الله تعالى المحكمة في جميع الشرائع السماوية، من لدن شرعة آدم إلى شريعة خاتم الأنبياء.

إن نظرية التطور مخالفة للحق؛ لأنها تقوم على افتراض الصدفة كسبب لخلق الإنسان، ولا يمكن أن تُحدِث الصدفة دقة في خلق الكون في إحكام، وكل شيء في هذا الكون بمقدار، لا يدل على تلك النظرية دليل علمي أو منطقي، عاجزة عن وضع إجابة شافية عن أسئلة الوجود: لماذا خلق الله الخلق؟ ومتى

(١) وقد ثبت الجمع بين الفعل (خَلَق) وبين الزوجية في ثمانية مواضع قرآنية وقد سبق بيانُها في دلالات الفعل (خلق) وهو أصل الباب، كما ثبت الجمع بين الفعل (جَعَل) وبين الزوجية في عشرة مواضع قرآنية هي: [الأعراف: ١٨٩]، [الرعد: ٣]، [الرعد: ٣٨]، [النحل: ٧٢]، مرتين بنفس الآية، وفي [الأحزاب: ١٤]، وهو موضع منفي يدل بالإشارة على فطرة الخلق، وفي [فاطر: ١١]، [الزمر: ٦]، [الشورى: ١١]، [القيامة: ٣٩]، وثبت الجمع بين الفعل (أخرج) وبين الزوجية في موضع هو: [طه: ٥٣]، وقد سبق اعتبار الفعل (جعل) وهو المفيد للتصيير، واعتبار الفعل (أخرج) كلاهما من ضمن أفعال الخلق.

(٢) كما تكرر وصف الزوجية بين آدم وحواء في سورتَي [الأعراف: ١٩]، و[طه: ١١٧].

يكون؟ وكيف؟ وسبب الخلق وعلته وآليته؟ وهذا ما ليس بإمكان القائلين بتلك النظرية تقديم جواب واضح عنه، أو بيان له؛ لذا فهي نظرية مرفوضة.

بهذا نكون قد وقفنا على الأوجه العَمَليَّة للإفادة من دراسة أفعال الخلق، وهي نوع من أنواع الدفاع عن قضايا التوحيد والإيمان، وأسلوب من أساليب الدعوة بالتدبر في كتاب الله تعالى.

المطلب الثاني: كبرياء العلم في ميزان (أفعال الخلق):

إن حدوث ما أطلق عليه (الثورة العلمية)[1] يستدعي بيان أوجه التحدي بأفعال الخلق، وإثبات الإعجاز بفعل الخلق من الواجب، بل يجب وقوف دعاة الإسلام وعلمائه في كافة مجالاتهم العلمية وقفة غير معادية لكنها جادة حازمة من (كبرياء العلم) لأن حصول علم بظاهر الحياة الدنيا لا يستدعي التنكّر لخالق الخلق مالك القُوَى والقُدَر، مع عجز العلم عن خَلْقِ وإيجاد ذرة من عدم، وعجزه عن مضاهاة خَلْقِ الله تعالى، من هنا ندرك أهمية بيان تحدي القرآن للبشرية بأفعال الخلق، قيامًا بحق الله، وحق الأنبياء، وحق خاتم الرسل على كل مسلم ومؤمن ومحسن، ودوافع بيان تحدي القرآن بأفعال الخلق عديدة منها ما يلي:

(١) الثورة العلمية: منذ أواخر القرن الـ١٦ الميلادي وما تلاه أدرك العلماء أهمية التجريب والرياضيات في التقدم العلمي، وساعد هذا الإدراك في تحقيق الثورة العلمية، فشدد الفلكي الإيطالي جاليليو (١٥٦٤ - ١٦٤٢م) على الحاجة للتجارب، وتوسيع مدى الحواس الإنسانية وقدراتها على استعمال الأجهزة العلمية، ثم ظهر الرياضي الإنجليزي إسحاق نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧م) فاكتشف قانون الجاذبية الكونية في كتابه (المبادئ الرياضية) (١٦٨٧م) ثم امتدت الثورة العلمية لعدة مجالات علمية منها: علم وظائف الأعضاء، ثم ظهرت أفكار علمية عززت من الثورة العلمية منها فكرة ضرورة أن تكون الرياضيات النموذج العلمي الواجب أن يحتذى، للفرنسي رينيه ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠م)، في كتابه (مقال عن المنهج)، كما ظهرت فكرة ضرورة أن تكون التجربة أهم مصدر للمعرفة للإنجليزي فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦م). انظر: الموسوعة العربية العالمية، (١٦/ ٣٧٦- ٣٧٨)، الموسوعة العربية العالمية، وضع نخبة من العلماء، (١٦/ ٣٧٦- ٣٦٨)، طبع: المملكة العربية السعودية، الرياض، سنة ١٩٩٩.

أولًا: تحقيق النظر في خلق الأكوان والإنسان؛ لحصول الإيمان والثبات عليه وزيادته.

ثانيًا: تقويم كبرياء العلم، والحد من ثورةِ ثائرته أمام حقيقة الخلق الثابتة لله تعالى، ويتحقق ذلك بدعوة البشر إلى خلق شيء من (**المني الموصوف في القرآن بماء مهين أي حقير، أو الذباب المخلوق الضعيف المستحقَر، أو بعوضة، أو حتى قدْر ذرَّة أو حبَّةٍ أو شَعِيرة، أو نبَات، أو ماء، أو نار، أو شجر**)، وهذه أنواع من الخلق، دعا ربنا البشر ليخلقوا مثلها، وثبت عجزهم عن خلق وإيجاد أيٍّ منها، حيث لم يُجِب إلى هذا التحدي أحدٌ، منذ بداية البعثة الخاتمة إلى يوم الناس هذا.

ثالثًا: إظهار موقف الإسلام من اكتشاف (السنن الكونية)[1] - وهي موضوع العلوم الطبيعية- محط اعتناء الكتاب والسنة، وإن إثبات إعجاز البشرية بالخلق في الكتاب أمر يسترعي انتباه العلماء؛ ليقفوا موقفًا لائقًا بدلالات أفعال الخلق؛ لأنها تثبِّت الإيمان في قلوب الموحّدين، كما توجب الإيمان على المنكرين، كما تلقم المتشككين حجة دامغة، ومن الواجب مخاطبة البشرية بخطاب القرآن الكريم الذي تحدَّى فيه البشر بفعل الخلق وأعجزهم به.

(١) السنن الكونية: هي قواعد ثابتة مُنظِّمَة للتفاعل والتعامل الكوني بين جميع خلق الله جميعًا، والأصل فيها الثبات فلا تتغير بمرور الزمن، ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، فهي ثابتة منذ بداية خلق الكون ليومنا هذا فلا تبديل أو تحويل أو تغيير فيها، قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، ولم يطرأ عليها تطوّر أو تغيّر، قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]، انظر: الموسوعة العربية العالمية، وضع نخبة من العلماء، (١٦/ ١٥٤)، السابق. أقول: إن السنن الكونية تسمى (سنة جارية) وهي الظاهرة الكونية، وثمة (سنة خارقة)، وهي المعجزة المشاهدة؛ لأن خرقها ممكن لله تعالى فهو خالقها، وهي: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي مرسل، كعدم إحراق النار لإبراهيم، وعدم إغراق موسى في البحر، وانفلاق القمر لخاتم الأنبياء..إلخ.

رابعًا: بلاغ رسالة الإيمان بالله الخالق، خاصة بعد أن تطوّر العلم في القرن السادس عشر الميلادي، تلاه (**المد الإلحادي**)، فبالأمس عانى العالم الغربي من الإلحاد بألوانه المتعددة فتارة شيوعية[1] وليبرالية[2]، وتارة غيرذلك لكن يجمعها تنكر للاعتراف بخالق هذا الكون، وهو شأن عمَّ أرجاء العالَم الغربي فترة من الزمن، وما زالت أوضاره وآثاره تطل بين الحين والآخر؛ واليوم يطال شبابا في عالمنا الإسلامي، وليس من المعقول أن تتفاقم المشكلة في واقع مرير دون إظهار الحق على أقلام وألسنة علماء الإسلام ودعاته.

وبعد، فاللهم إن هذا جهد المقل إن كنت أصبت فيه الحق فمنك وحدك لا شريك لك، وإن كانت الأخرى فيكفيني شرف طلب الحقيقة من مظانها في القرآن الكريم وسنة خاتم المرسلين.

.....

(١) الشيوعية: مجموعة أفكار عن كيف ولماذا تحركت أحداث التاريخ؟، وهي نظرية اجتماعية وحركة سياسية ترمي للسيطرة على المجتمع ومقدّراته لصالح أفراد المجتمع بالتساوي ولا يمتاز فرد عن آخر بالمزايا التي تعود على المجتمع، وهي تيار معاصر إلحادي قائم على مقولات مادية ملحدة، يعتبر كارل ماركس داعيتها من هنا فإن موقف الإسلام من الشيوعية الرفض، انظر: الموسوعة العربية العالمية، وضع نخبة من العلماء، (١٤/ ٣١٨- ٣٢٠)، طبع: المملكة العربية السعودية، الرياض، سنة ١٩٩٩.

(٢) الليبرالية: فلسفة سياسية تأسست على أفكار الحرية والمساواة وإتاحة الفرص في عصر التنوير، انظر: الموسوعة العربية العالمية، (٢١/ ٢٤٧- ٢٤٨)، المرجع السابق.

الخاتمة

حمدًا لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على أشرف الخلق سيّدنا محمد -**صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آله وصحبه أجمعين وَسَلَّم**- وبعد فقد انتهيت لنتائج وتوصيات حاملة رؤية مستقبلية أعرضها فيما يلي:

أولًا: النتائج:

- إن أَفْعَال الله تعالى لا تتناهى، وأَفْعَال الخَلْقِ دراسةٌ أوليَّة مبنيّة على تدبُّر كتاب الله تعالى، مستقاة من رؤية علماء الأمة للنظر في خلق الأكوان والإنسان، قائمة على اعتقاد في إثبات صفات الكمال لله رب العالمين فمن أظهر ما يستفاد منها قيام تحدِّي القرآن بها، وإثبات إعجاز البشرية عن المجاراة.
- وبعد استقراء أفعَال الخَلْقِ وهي كثيرة في كتاب الله تعالى وقفت على سبعة أفعالٍ منها، هي (**خلق، وصور، وسوى، وأنشأ، وفطر، وذرأ، وبرأ**) وهي دراسة استفتاحية في النية استكمالها ببقية أفعال الخلق في القرآن الكريم، خاصة لما فيها من دلالة كلمات (الذرية والبرية والفطرة)، وهي مشتقة من أفعال الخلق.
- إن (أَفْعَالَ الخَلْقِ) تمثل الدليل النقلي والعقلي معًا في آن واحد لمخاطبة العقول بالنظر في فعل الخلق، فضلا عما حملت (أَفْعَالُ الخَلْقِ) من التحدي.
- أَفْعَالُ الخَلْقِ القرآنية من أظهر الدلائل الإيمانية للاستدلال على الإيمان بالله تعالى وصفاته العلية من قدرة وإرادة وعلم فهي من أدق الأدلة التي قد يُذهَل عنها كثيرًا في هذا الباب.

ثانيًا: التوصيات:

- إن اللغة العربية لغة شريفة لأنها لغة القرآن المجيد، ولعلمائها دور جليل كريم قدموه ويقدمونه للإسلام، ذلك الدور يتكامل مع علماء الشرع الشريف في تزكية ودعوة وتعليم المسلمين – سواء المطمئن في إيمانه منهم أو المتشكك – وقد يكون من آليات دور اللغة إعداد (**معجم متخصص في أفعال الله**) في القرآن والسنة أو أحدهما، واستخراج مفردات القرآن ذات دلالة على الإيمان.

- دعوة من يهتم بأمر مجتمعاتنا العربية الإسلامية بكافة مستوياتها الفردية والمَجْمَعيّة للاهتمام بمحاورة الفئات مضطربة الاعتقاد، ومحاورتهم بأساليب عقلية بسيطة مستمدة من القرآن.

- قيام دراسات القرآن على الربط بين الأصلين اللغة والوحي؛ لأن مفتاح فهم نصوص الوحي متوقِّف على معرفة أسرار مستوى مفرداته وجمله التركيبية.

د. الأمير محفوظ محمد

القاهرة - ربيع آخر ١٤٤٠ - ديسمبر ٢٠١٨

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

والحمد لله رب العالمين

.....

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم جلَّ من أنزله.

٢. الإمام الفخر الرازي، التفسير الكبير، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر، الأولى سنة ١٩٨١.

٣. الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. محمد إبراهيم الحفناوي، طبع: دار الحديث بالقاهرة، سنة ٢٠٠٢.

٤. القاضي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، طبع: دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، سنة ١٩٨٨.

٥. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، طبع: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦. الإمام الألوسي، روح المعاني، طبع: دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، بدون تاريخ.

٧. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، طبع: الدار التونسية للنشر، سنة ١٩٨٤.

٨. الإمام محمد متولي الشعراوي، تفسير الخواطر، الناشر: مطابع أخبار اليوم، سنة ١٩٩٧.

٩. الإمام النووي، شرح صحيح مسلم، طبع: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، سنة ١٩٩٦.

١٠. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، طبع: دار الغد العربي، القاهرة، سنة ١٩٩٢.

١١. الإمام البيهقي، الاعتقاد، طبع: دار السلام الدولية بالقاهرة، بدون تاريخ.

١٢. الإمام الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، طبع: في بيروت سنة (١٣١٩هـ).

١٣. الإمام الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، طبع: دار المعرفة، بيروت لبنان، بدون.

١٤. الإمام ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، طبع: دار الحديث بالقاهرة، بتحقيق سيد إبراهيم، وعلي محمد، بدون طبعة، سنة ١٩٩٧.

١٥. الإمام الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز، طبع دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بدون تاريخ.

١٦. الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، طبع: دار الحديث بالقاهرة، سنة ٢٠١٤.

١٧. التهانوي، كشاف اصطلاحات العلوم، تحقيق: د. علي دحروج، طبع: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦.

١٨. محمد أبو زهرة، أصول الفقه، طبع: دار الفكر العربي، بدون طبعة، سنة ١٩٩٧.

١٩. الإمام الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: الإمام محمد زاهد الكوثري، طبع: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الرابعة، سنة ٢٠٠١.

٢٠. الإمام الغزالي، المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، طبع: مكتبة الجندي بالقاهرة، سنة ١٩٦٨.

٢١. أبو العز الحنفي، شرح الطحاوية، تحقيق: أحمدمحمدشاكر، طبع مكتبة دار التراث، بالقاهرة، ١٣٧٣.

٢٢. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطناحي، طبع: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٣. د. محمد أحمد الغمراوي، الإسلام في عصر العلم، طبع: دار الكتب الحديثة، بالقاهرة، بدون طبعة، سنة ١٩٧٨.

٢٤. د. محمد على البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، طبع الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٨٣.

٢٥. د. أحمد مصطفى متولى، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية، طبع دار ابن الجوزي، بالقاهرة، الأولى، سنة ٢٠٠٥.

٢٦. د. عدنان الشريف، من علم الطب القرآني، طبع دار العلم للملايين، بيروت، سنة ٢٠٠١.

٢٧. د. الصادق عبدالرضا، القرآن والطب الحديث، طبع دار المؤرّخ العربي، بيروت لبنان، سنة ١٩٩١.

٢٨. د. مبيوع مصطفى عبد الوهاب، مراحل تكوين الجنين في الطب الحديث في ضوء الإشارات القرآنية، بحث مقدَّم للمؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية، المنعقد في جامعة أفريقيا العالمية، السودان الخرطوم، ديسمبر ٢٠١١.

٢٩. محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، طبع دار المعرفة، بيروت لبنان، سنة ١٩٧١.

٣٠. الموسوعة العربية العالمية، وضع نخبة من العلماء، طبع: السعودية، الرياض، سنة ١٩٩٩.

٣١. رسالة بعنوان: (تطور الأجنة فى الأرحام بين العلم الحديث والإسلام ودلالته الإيمانية)، للباحث عبد الخالق صلاح، التخصص الماجستير في قسم الثقافة الإسلامية، بكلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر الشريف، أجيزت سنة ٢٠٠٧.

وغير ذلك من المصادر والمراجع الواردة أثناء الدراسة..

مجلة تدبر

فهرس الموضوعات

آية قرآنية ٢٤٥

مستخلص البحث ٢٤٧

المقدمة ٢٤٩

المبحث الأول: تمهيد ٢٥٦

المطلب الأول: المراد من أفعال الخلق ٢٥٦

المطلب الثاني: كثرة أفعال الخلق ٢٥٧

المطلب الثالث: دلالة أفعال الخلق ٢٦٠

المبحث الثاني: أفعال الخلق بين النظر والتحدي والإعجاز ٢٦٤

المطلب الأول: علاقة أفْعَالِ الخَلْقِ بالنظر ٢٦٤

المطلب الثاني: التحدي بأفْعَالِ الخَلْقِ ٢٦٥

المطلب الثالث: إثبات عجز البشر عن القيام بالخَلْقِ ٢٧٠

المبحث الثالث: معاني أفعال الخلق ودلالتها ٢٧٦

المطلب الأول: معاني الفعل (خلَق) ودلالته ٢٧٦

المطلب الثاني: معاني الفعل (صوَّر) ودلالته ٢٨٢

المطلب الثالث: معاني الفعل (سوَّى) ودلالته ٢٨٤

المطلب الرابع: معاني الفعل (أنْشَأ) ودلالته ٢٩٠

المطلب الخامس: معاني الفعل (فَطَر) ودلالته ٢٩٥

المطلب السادس: معاني الفعل (ذَرَأ) ودلالته ٢٩٨

المطلب السابع: معاني الفعل (بَرَأ) ودلالته ٣٠٠

المبحث الرابع: تقييم نظريات الإلحاد بأفعال الخلق ٣٠٤

المطلب الأول: نظرية التطور في ميزان أفعال الخلق ٣٠٤

المطلب الثاني: كبرياء العلم في ميزان أفعال الخلق ٣٠٨

الخاتمة ٣١١

المصادر والمراجع ٣١٣

فهرس الموضوعات ٣١٧

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

TADABBUR MAGAZINE

Periodical, Scientitic and Arbitral Magazine specializes in arbitration and dissemination studies and searches related to Holy Quran, biannual issued

Number6; Ragab 1440 AH, corresponding to March 2019

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:

- **Contraries method in Surah Ar-Ra'd.**
  An analytical study
  By: Prof. Dr. Ahmed M. Al Shargawi
- **The implication of the Qur'anic context and its impact on directing verses' meaning through the book "Rhetorical Exegesis of the Holy Qur'an" by Prof. Aisha Abd al-Rahman (Bint al-Shati').**
  By: Mr. Ahmed Ba'zid Bara'ak Allah
- **Quran's protection of intellectual awareness among youth Under the challenges of modern means of communication**
  By: Prof. Mohammed Abdel-Deim Al Sulimani Al-Tuni
- **The implications and purposes of the term (Gladness) in the Holy Quran.**
  (Applied research)
  By: Mrs. Basma A. Matran
- **Verbs of creation and existing and their implications in the Holy Quran**
  By: Dr. Al Amer M. Abu Aisha
- *A report on a scientific thesis entitled:*
  Proficiencies of contemplation of Holy Quran among teachers of Quran in the preparatory level and challenges of their use.
  By: Khalid I I Al-Sahimi
- **A report on Maknon Institute for female teachers of Quran "Tadabbur"**
- **A report on the 8th Annual International Qur'anic Conference. (Maqdes 8)**
  With the slogan: "Gratifying humans with the light of Quran"

25 SR